

الاسترقاق القيمي وجذور الممانعة



ماجد بن محمد الأسمري

الاسترقاق القيمي وجذور الممانعة


بسم الله الرحمن الرحيم

الاسترقاق القيمي

وجذور الممانعة

ماجد الأسمري



الاسترقاق القيمي
وجذور الممانعة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن نظر المركز»



Business center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith,
London W6 9DX, UK

www. Takween-center.com
info@Takween-center.com

تصميم الغلاف :



+966 5 03 802 799
المملكة العربية السعودية - الخبر
eyadmousa@gmail.com

إهداء

إلى أمي ..

حيث منجم القيم

فهرس الموضوعات

لقد هاجمونا بسبب قيمنا، إنهم يريدون ضرب قيمنا

(باراك أوباما)

(وجُملة القول أن جزيرة العرب الآن تشتمل على نوعين مختلفين من الحياة العقلية؛ إحداهما: محافظة قديمة لا تزال قوية بحكم الجهل والأمية. والأخرى: مُجددة لا تزال ناشئة بحكم الاتصال بأوربا.

وسيشتد الصراع بين هذين النوعين من الحياة، ولكن النصر محقق للحياة الجديدة؛ لأن جزيرة العرب قد فُتحت للحضارة الأوربية). (طه حسين)

(لقد تسللت القيم الغربية ونمط التفكير الغربي إلى ساحة الإسلام، مثل حصان طروادة). (الألماني شتيفان فايدنر)

(يمكن للغرب أن يغزو العالم ببساطة دون اللجوء للجيوش، ما عليه سوى تحطيم البنية الثقافية وتغريب أعضاء النخب الحاكمة واستيعابهم في الحضارة الغَربية). (عبد الوهاب المسيري)

(إن النصرانية لا غيرها هي الأساس النهائي للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وهذه هي أهم معايير الحضارة الغربية). (هابرماس)

تمهيد

هذه مقاربة ثقافية سعت إلى تعزيز دور ومكانة القيم كمنظومة فاعلة ومؤثرة في اللغط والجدل الدائر بين الرؤية الإسلامية والرؤية التغريبية، الاشتغال وتكثيف المعالجة حول قضايا فرعية ليست مناط الخلاف الحقيقي والجوهري بين الفريقين طريقة لن تؤتي نتائج مثمرة ورؤية نقية واستجابة عالية، لذا كانت هذه الدراسة تتجه مباشرة نحو الجذر الحقيقي للأزمة بين المثقف الإسلامي والتغريبي.

بالإضافة إلى ما سبق تم تسليط الضوء على الدور الحيوي للمثقف التغريبي في بث القيم الغربية، وفي المقابل ستجد كيف تمكن الإسلامي الفطن والنابه من تعرية الدور للمثقف التغريبي والكشف عن حيله الثقافية.

وفي هذا البحث تم تقسيم المداخل التغريبية إلى تقليدية وأخرى غير تقليدية، وكيف كانت درجة وعي الإسلامي بتلك المداخل وطريقة تفكيكه للشبهات التي يستعين بها التغريبي في تمرير قيمه الباطلة.

عندمـا يذهب بعض العقـلاء في التنبؤ إلـى أن المرحلة القادمة هـي مرحلة صراع على القيـم، فليس هذا معناه أنها لم تكن كذلك في السابق!

وإنما الكثير من تلك الصراعات والمحاكمات التي نشـأت في السـابق تم اسـتبعاد الجانب القيمي منها؛ إما تقصدًا أو عن قلة وعي، ولـذا تم إرجـاع تلـك النزاعـات والمواجهـات إلى بواعث سياسـية واقتصادية وتاريخية وعسـكرية، بينما غُيب وأُضمر عنصر القيم، ولم يتناوله أغلب من انبرى لتفسير تلك الظواهر والأحداث.

ولكـن (الفضاء التواصلي الجديـد) ممثلا في الإعلام الجديد، حمل المتابع إلى بؤرة الحدث مباشرة دون استئذان، وساهم وبفعالية في كشـف الغطـاء عن ذلك التزييف المتعمد لإخفـاء جوهر الصراع، فقـد ظهرت الحقيقة المضمرة الآن تحت الأضواء الكاشـفة «للفضاء الإنترنتي» على شكل وثائق مُسربة أو فلتات لسان رئيس دولة غربية أو سياسـي رفيع المستوى أو عبر لقاءات في مجامع خاصة أو اعترافات تأتي متأخرة.

هنـا سـيأتي المتابع ليتجول بيـن تلك الوثائـق ونصوص الإدانة والاعترافـات دون وسـيط ودون محلـل سياسـي ينتخـب لـك رؤية متحيزة لطرف دون آخر.

وكذلك من الأسباب الرئيسية تداعيات حادثة الحادي عشر من سبتمبر؛ التي عجلت من تداعي المعاني المُضمرة أو المتوارية إلى أن تصبح هي (المُعلن عنها) على ألسنة قادة عسكريين وسياسيين ومثقفين بارزين، تنادوا بضرورة إصلاح منظومة القيم الإسلامية وجعلها متوافقة مع الرؤية الأمريكية والغربية عمومًا.

يقول الفرنسي (أوليفيه روا): (إن السياسة الجديدة التي يقترحها مساعد وزير الدفاع (بول وولفر فيتز) هي تنمية إسلام معتدل وليبرالي يتماشى في آنٍ معًا مع القيم الغربية).

ما تفسير أن ترصد أمريكا ٦٧١ (مليون) دولار سنويا لقناة الحرة، وتستضيف مثقفين يجهرون وبلغة صارمة بالعداء للقيم الدينية، ويطالبون بضرورة إصلاحها، وفي ذات القناة تظهر مثقفة عربية ترى ضرورة سن تشريعات لإعطاء حقوقًا للشواذ والسماح بالعلاقات خارج إطار الزوجية.

ما معنى وجود ٨٨ قناة مخصصة للأغاني، و٦٠ قناة للأفلام الخليعة؟

ما تفسير ضراوة الهجوم على المناهج الدينية والمؤسسات الرسمية للإفتاء؟

ما تفسير أن يخصص جورج بوش ١٤٥ مليون دولار عام ٢٠٠٤م لتحويل المدارس في العالم الإسلامي إلى تعليم علماني؟

ما معنى القلق المتنامي من زيادة أعداد المنضمين للمدارس الدينية في إندونيسيا والبوسنة وبنغلاديش؟

بعد سرد هذه الأرقام والمؤشرات، يظل بعض المثقفين يتصام عن سماع الحقيقة ويعالج ذلك بغشاوة أخرى يضعها على سمعه، ويسترسل في أودية الباطل، ويظل يتاجر ببضاعة غربية فاسدة المحتوى يجذب بها شباب وفتيات أمته.

في هذا البحث. . حاولت التمييز بين الطرق والمداخل التقليدية والغير التقليدية، التي يبث المثقف التغريبي رؤيته وترويجه لقيمه من خلالها، فجعلتها على قسمين:

القسم الأول. مداخل تقليدية:

- تحرير المرأة.
- الإعلام.
- نقد المناهج التعليمية وطرح رؤية تغريبية بديلة.
- الرواية.
- الفجور السياسي.

القسم الثاني. مداخل غير تقليدية:

- من خلال المواثيق الدولية.
- من خلال التراث.
- من خلال نشر شعارات القيم الحضارية.
- من خلال أنشطة ثقافية ممولة من الغرب.
- من خلال الأقوال الفقهية الشاذة.

قبل الشروع في محاور هذا البحث أود أن أضع ضوابط يستطيع المتابع أن يميز من خلالها لماذا فرقنا بين المدخلين؛ ووصفنا أحدهما بالتقليدية والآخر بخلافه؟

هنالك عدة ضوابط للمدخل التقليدي:

١- **ضابط الزمان:** وهو أن هذا المدخل استثمر منذ بدء صراع التغريب مع الرؤية الإسلامية، وما زال يستثمر ويستغل في كل صراع يحدث حتى الآن؛ فالتغريبيون يراهنون عليه كثيرًا، لذا باتوا لا يتأخرون في استغلاله والعمل على تطويره وتقوية فعاليته.

٢- **ضابط المكان:** بمعنى أن ذلك المدخل يستخدم في كافة البلاد الإسلامية، ولا يوجد ما يمنع من استخدامه في مكان دون آخر.

٣- **ضابط التأثير:** من حيث أثرها السريع والمردود العالي في النتائج التي يصبو إليها النظام التغريبي، فيحصد في زمن قليل كَمًّا كبيرًا من الإنجاز وكَمًّا أكبر من العقول.

٤- **المدخل التقليدي:** يجد قبولا وإجماعا من كافة الفاعلين التغريبيين ويرضون عن نتائجه، بعكس المدخل الغير تقليدي الذي قد يرفضه أو يتوقف فيه البعض، وقد يصل الحال إلى تخوين من سلك بعض المداخل التغريبية كشراء المثقفين المأجورين لإضرار أمتهم.

ثم في بقية البحث تناولت قضايا توتر الخلاف عليها بين الرؤيتين الإسلامية والتغريبية كوقائع العدوان على (غزة) بما أن تحرير فلسطين هي قضية اجتمع عليها المسلمون منذ بدأت، ومن تلك القضايا كذلك دعوى (حيادية القيم الغربية)، وكذلك التداول التغريبي المكثف لقيمة (الشك)، ثم ذكرت نموذجًا مقدمًا للمثقف الإسلامي الذي ناضل في سبيل الاستقلال الفكري وتعافى من مركب النقص أمام الحداثة يتمثل في (طه عبد الرحمن).

وستلاحظ كذلك أثناء الورقة الكشف عن حيل تغريبية:

١ - قيم حضرت بقوة في الخطاب التغريبي.

٢- قيم غابت تمامًا.

٣- قيم تعرضت للتشويه.

٤- قيم ضخمت على حساب قيم أخرى.

٥- قيم تم نفيها من التراث الإسلامي.

٦- إبراز قيم سلبية كالشك.

إعادة تعريف وتشكيل معان جديدة لقيم ذات معان مُتداولة سابقًا.

وستلاحظ كذلك الدور الواعي والمميز الذي قام به المثقف الإسلامي حيال الكشف عن تلك المداخل والحيل، وأبدع في دفع باطل خصمه، وبرع في التسويق لمذهب الحق، وبرع في دعمه وتعزيزه.

وفي بديات هذه المقارضة لابد من التنبيه على مكانة وأهمية هذا المبحث من خلال ما يلي:

١- إن التردي والتخلف والانهزام الذي أنهك جسد الأمة المسلمة يرجع إلى عوامل عدة مترابطة، ومن أهمها تردي مستوى الامتثال بالقيم الإسلامية وتناقص معدلات العناية بها إزاء القيم التي وفدت من كل زاوية من زوايا هذا العالم المتعدد الهويات والثقافات، وعلى رأسها الثقافة الغربية.

٢- إن الوعي الثقافي هو أبرز سمة من سمات المثقف الإسلامي، فهي تدفعه إلى فرز وفحص ما يمثل أمامه من خيارات ثقافية وإشكالات تتجسد باستمرار على أرض الواقع الإسلامي، وليس بحسن أن يتطامن أمامها ويدع الفرصة سانحة للمثقف التغريبي أن ينبري لتلك المشكلات ليقدم حلوله بأدوات ومفاهيم غربية غير بريئة ولا مُحايدة.

٣- إن الحملات المتتابعة التي تنضوي تحت راية واحدة تهدف إلى تآكل منظومة القيم المحافظة، وذلك بالنيل من مصادر تلك القيم كالدين والتراث وعبر مداخل فاعلة ومؤثرة كالتعليم والإعلام والأدب.

٤- إن القيم ليست مجرد مكون معرفي، وليست عبارة عن أفكار مجردة، بل تحظى بمكون سلوكي وسمات دينية وأخلاقية تُميز المجتمع المسلم عن غيره في ظل استماتة لفرض النمط الغربي على كافة الأصعدة.

٥- هوس التعدي والرغبة في تسلق حصون المجتمعات المحافظة وتشويه قيمها له بُعد تاريخي؛ إذ إن صراع الأمم عبر فرض وتسويق قيمها ليس بجديد، ولكن النكهة الجديدة في هذا العصر هو خلق وسائل معاصرة وشن الغارة عبر مداخل غير تقليدية قد لا يفطن لها المسلم العادي فيغرق في لجة العبث القيمي دون وعي واستبصار، ومن تلك الوسائل: الإعلام الجديد، التعليم، والمواثيق الدولية، والأنشطة الثقافية، وعبر الفتاوى الشاذة.

٦- في هذا الزمن المتوتر لم يعد يخشى المثقف المسلم فقط من تلك المناهج البينة والواضحة الانحراف كالعلمانية والماركسية والوجودية، بل بات يساوره القلق أكثر من تلك المناهج التوفيقية -

أو بالأصح (التلفيقية) - التي بنت لنفسها صرحًا مشيدًا بلبنات غير متجانسة الصلابة فتشوه البناء الفكري، ومثل هذا البناء لا يطمئن له الإنسان الباحث عن الحقيقة، في حين أن مراد وأهداف مثل هذه المناهج التوفيقية إرضاء كافة الأطراف المتصارعة.

٧- إن إبراز دور المثقف الإسلامي أمر لازم ومطلب مُلح في فترة احتفاء بالمثقف التغريبي وإقبال على قراءة أفكاره وتلميع صورته عبر وسائل الإعلام المسموع والمقروء والمرئي.

* * *

« ذاكرة الصراع الفكري»

العقل قبل النقل (لويس التاسع)

فـي هـذا البحث اليسـير لن أقوم بعملية تتبع واسـتقصاء لنشـأة الصراع مـع التغريب، ولن أدخل في تفاصيلها الدقيقة، فهذه لها كتب متخصصـة تكلمت - وبإسـهاب - عنها، لكن سـأقوم بقـراءة مجملة وكافيـة لأهم تمظهـرات ذلك الصـراع، وتوثيق عام لأبـرز الفعاليات التي حدثت في تلك الفترة التي استمرت أكثر من قرن.

البداية:

«فـإن التغييـر عـن طريق الاقتـداء بالغـرب جاء من أعلـى، بدأه الحكام وفرضوه في ردة فعل إزاء التهديد الخارجي الذي تمثله النزعة التوسعية الغربية، ونفذته نخبة صغيرة كان أفرادها أول المستفيدين من الإصـلاح، وعلى الرغم من أن بعض الأسـس الجوهرية اسـتخدمت لإضفـاء الشـرعية على التحول، فقد كانت العمليـة تنطوي على قبول تدريجي لعلمانية تقيد الدين في إطار الحياة الشخصية»[1].

هذه الرؤية الدقيقة لمرحلة مبكرة من الصدام الإسلامي الغربي،

---

(١) «الخطر الإسلامي»، جون إسبوزيتو (ص ١٣٠).

والتـي رصدهـا المؤلـف الغربي (جون اسـبوزيتو) في كتابـه «الخطر الإسـلامي» يكشـف وبجـلاء بالغ عـن أهمية تلـك المرحلـة وأثرها فـي النبـض العام لتوجه الأمـة ومآله فيما بعد على النواحي السياسـية والاقتصادية والثقافية والدينية.

إذن هـي مرحلـة مأزومة اسـتثمرها بعض السـلاطين في الدولة العثمانيـة وكثيـر من الأراضي الإسـلامية علـى نحو فاسـد، فأفرزت أخطـاء فادحـة ومؤلمـة، قد باتـت الآن بمثابـة أصفاد تحـاول الروح الإسلامية أن تتحرر منها لتعيد بناء ذاتها من جديد في مواجهة التوغل التغريبي الذي تجذر في تجربة الأمة المسلمة في تلك اللحظة.

من خلال القراءة السابقة نستنتج عدة نتائج:

١- دعـوى التغييـر انطلقـت من ضفة السـلطة السياسـية لدعم مركزها لا من مطالبات مجتمعية.

٢- وجـود نخبـة ثقافية سـبق وأن نالـت تعليمًا فـي الجامعات الأوربية؛ هي من أَيَّدَ هذا النوع من التغيير والتحديث.

٣- محاولة استخدام الشعارات الشرعية كواجهة فقط.

٤- اسـتخدام مفاهيم مخاتلة كالتحديـث والإصلاح للمراوغة والتدليـس، مع أنهـا تعد فـي الأصل تبعيـة وتغريبا وهيمنـة للنموذج الأوربي.

مـع وجـود القابليـة للتغريـب لـدى السـلطة العليـا فـي البـلاد الإسـلامية وخاصة الدولة العثمانية، كان يقابلها رغبة عالية ووعي من الطرف الغربي بضرورة وضع العقل الإسلامي تحت نير التغريب، لذا اسـتخدموا في سـبيل ذلك كافة المداخل الملائمة من تعليم وسياسة وإعلام، وحتى المدخل العسكري استخدموه لبسط نفوذهم.

قراءة أخرى للباحث والمؤرخ (ألبرت حوراني) تقرب الصورة كثيـرًا وتجعلنـا نلامس عن كثب كيف بدأ الجـرح الغائر؛ يقول: «قبل إلغاء الخلافة في تركيا سـنة ١٩٢٤م كان هنالك تمهيد لمشـروع قيام دولـة علمانية، وهي الجمهورية التركية، وكانت فكرة فصل الدين عن الدولة قد انتشرت على أيدي رواد الانبعاث الفكري في بلاد الشام، ثم تزامن مع استعلاء الشعور القومي العربي كمقابل وضد للمد التركي، ثم قام مؤتمر عربي في باريس سـنة ١٩١٣ ميلاديا؛ وهو مؤتمر قومي ضد التبعية للخلافة العثمانية»[١].

إذن... المرحلـة الأولـى مـن خطـوات الإصـلاح على المسـار التغريبـي كانت هي التـي تبنتها بعض القيادات العثمانية؛ مثل: (سـليم الأول، ومحمـود الثانـي)، وكانت فرنسـا هي مصـدر الإلهام لكثير من السياسـيين والمصلحين آنذاك! ! يجلب الخبراء منها وتُرسـل البعثات

(١) «جدل العقل والنقل في الفكر الحديث»، محمد الكتاني، ص ٤٨٩.

إليهـا، وكثير مـن القوانين التي تم إدخالهـا إلى الدولـة العثمانية كانت فرنسـية الصبغـة، ووصل الأمـر إلى حد طلـب العون من فرنسـا لمنع الاعتداءات الروسـية، وفـي عام ١٨٢٦ ميلاديا كانـت البداية الحقيقية للإصـلاح التغريبـي على يـد محمود الثانـي الذي قضـى على الجيش الانكشـاري المدعوم من العلماء والشـعب المتدين، وكوَّن جيشًا على النمط الأوربي وبتدريب نخبة من الأوربيين، وأرسل البعثات إلى أوربا.

تبعتـه مرحلة ثانية مع ارتفاع تصاعـد الاحتجاجات القومية ضد المـد العثمانـي، وهـذه الاحتجاجات كانـت بتجييش غربـي جعلهم يسـتضيفون مؤتمراتهم في بلادهم، ويتقدم أولئـك المحتجين كوكبة من المثقفين المسيحيين أبناء المدارس التبشيرية. هذا التذمر والضجر من الأقليات غير المسلمة جاء بترتيب مع الدول الأوربية! مع أن تلك الأقليـات حظيـت في زمنهـا بكافـة الامتيازات مـن الدولـة العثمانية وبرزت دعوة المسـاواة التامة مع المسـلمين، وحظوا بمناصب عالية واستحوذوا على قطاع الإعلام والترجمة.

ثـم مرحلـة ثالثـة تمثلـت فـي الاسـتحواذ التغريبي علـى قطاع الترجمـة والطباعـة والصحف والإعلام، وعلـى التعليم المدعوم من الإرسـاليات التبشـيرية وعلـى الجمعيـات العلمية، مما شـكل صوتًا مؤثرًا عند المتلقي فأحدث زحزحة لكثير من القناعات والمبادئ.

أين كانت إذن المشاعر الإسلامية لقطاع كبير من جمهور الأمة المسلمة وهم يبصرون (الحراك التغريبي) بين محاولات عثمانية للارتماء في الحضن الأوربي وبين مد قومي مدعوم من أوربا؟

في بداية الأمر كانت المشاعر الدينية بمثابة قوة كامنة في المجتمعات الإسلامية، لكنها لم تتمثل في مشروع سياسي قابل للتطبيق حتى جاءت فكرة الجامعة الإسلامية التي تبناها وعمل عليها جمال الدين الأفغاني، وشد من أزرها كذلك السلطان عبد الحميد، لكنها ضعفت بعد موتهما.

الصراع بين الرؤيتين الإسلامية والتغريبية يتسع زمانا ومكانا، ويختلف أثره في كل بلد إسلامي بقدر حصون الممانعة الموجودة في ذلك البلد، الجزيرة العربية كانت أبعدهم تأثرًا بتلك الغزوات الثقافية، بينما مصر وتركيا هما الأقرب وعليهما المعول كبوابتين استراتيجيتين للمد التغريبي؛ فتركيا تناوشها الأعداء من كل الجهات لأنها مقر الخلافة، ومصر كانت مقرًا خصبا ومهادًا طبيعيًا مع وجود «محمد علي باشا» وذريته، ولدور مصر الحضاري والمؤثر في انتشار التيارات الفكرية إلى بقية الأرجاء.

إذن، ذلك المخاض المبكر استطعنا أن نصفه بالصراع بين ممانعة إسلامية وتهديد تغريبي، وذلك لعدَّة اعتبارات يستطيع المتأمل قراءتها من خلال المشهد الذي امتد لأكثر من قرن:

١- الأقليات غير المسلمة التي تسكن مصر والشام وتركيا، كشفت عن خطابها المحتقن وجهرت مبكرًا بالرؤية العلمانية الحادة.

٢- مصطلح (النهضة) ارتبط عربيا باقتحام عسكر نابليون للأرض المصرية، وهذا يُمثل خطرا ثقافيا! فكيف تربط نهضة أمة مستقلة حضاريًا بإصلاح عسكري خارجي، بينما تجد أن مفهوم النهضة الأوربي ارتبط بإصلاح جاء من داخلها.

٣- احتفاء المد العلماني بحملة نابليون ما زال قائمًا، فقد ذكر المفكر العلماني (وجيه كوثراني) أنه في عام ١٩٩٨م احتفل بالمئوية الثانية لحملة نابليون في القاهرة عدد من الرموز التغريبية.

٤- إرسال قوات (محمد علي) لمحاربة الحركة السلفية في الجزيرة العربية، وهي حركة عقائدية، فيما يصنف دور محمد علي على أنه دور تقدمي وتحديثي يسعى لتمثل النموذج الأوربي؛ لذا كان القضاء على الدعوة السلفية ينسجم مع تطلعاته، الجدير بالذكر هنا أن هناك من جعل دعوة محمد بن عبد الوهاب هي البداية الفعلية للنهضة العربية كما يعترف بذلك المفكر محمد عابد الجابري[1].

٥- احتفاء العلمانيين بالطرح الجريء للشيخ (علي عبد الرزاق) في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، مع أنه وجد ممانعة عالية من علماء عصره، لكن وجد سندًا من قبل الصحافة التحررية.

---

(١) في حواره مع حسن حنفي في حوارات القرن العشرين.

٦- توافق رؤى راجت في تلك الحقبة؛ كقول (كرومر) بأن الإسلام فشل سياسيًا، هذه الرؤى وافقت أطروحات من الداخل كدعوة المفكر العلماني «فرج أنطون» بالفصل بين الدين والسياسة، وتعتبر أول دعوة عربية تتبنى هذا الطرح.

يذكر فهمي جدعان أن كرومر وسكوت البريطانيين وهانوتو الفرنسي هم أول من روج لدعوة الفصل بين الدين والدولة!! ثم تعاقب التغريبيون من بعدهم[(١)].

٧- في تلك المرحلة بات الإسلام قسيمًا للإصلاح والنهضة والتقدم، وكأن الإسلام حكم عليه بأضداد تلك المفردات وتصوير المراحل التي قبل عصر النهضة أنها مراحل ظلامية (قروسطية) كما وصف علمانيو أوربا الحقبة المسيحية بهذا الوصف.

٨- في كتاب (وجهة الإسلام)[(٢)].. وهو كتاب مهم ألفه جمع من المستشرقين مثل جب وماسينون وآخرون يتكلم عن تلك الفترة، عرضوا فيه الرؤية التغريبية، وجعلوا يقرؤون تأثيرها في بعض البلدان الإسلامية، كالهند وأندونسيا وتركيا ومصر، وكشفوا وبجراءة عن المآرب الحثيثة في تلك الفترة في تغريب البلدان الإسلامية، والمداخل التي استخدمت لتمرير ذلك الفكر.

---

(١) «أسس التقدم» فهمي جدعان، ص٣٣٦.

(٢) كتاب «وجهة الإسلام» لجب وماسينون وآخرون.

«تعريف التغريب»

التغريب كما يعرفه بعض المهتمين بالشأن الفكري هو: « تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة المسلمين بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية».

وهو عند آخرين يأتي بمعنى: «حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية، والأخْذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقفُ أو الاتجاه غريبًا في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قِيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المُثلى لتقدم جماعته أو أمته الإسلامية».

ولا تعارض بين المعنيين؛ فالمعنى الأول يختص بمهمة التغريب من الخارج، والمعنى الثاني يختص بالتغريب من الداخل والاستجابة الداخلية.

التغريب ليس منظومة ثابتة تستطيع ضبطها في تعريف ووصف جامد، بل هو عملية تتجدد وتتصاعد لغتها وتمتد أذرعها لاقتلاع الحصون المحافظة التي تقف أمامها، والتغريب كما قيل هو (عنف ثقافي)، وهو (اقتلاع للهوية) و(اغتصاب ثقافي) و(تطهير للقيم) و(غزو فكري).

ومن مظاهر التغريب المتجددة: ظاهرة (العولمة)، وظاهرة (الفرانكفونية). العولمة باعتبارها نمطا جديدًا يهدف إلى نشر ثقافة (الأمركة) ذات الطابع الرأسمالي وتعميمها على كافة الثقافات، والفرانكفونية باعتبارها تهدف إلى نشر الثقافة الفرنسية خاصة في مستعمراتها القديمة.

المفكر التونسي أبو يعرب المرزوقي تنبه إلى أن مفهوم العولمة الغربية مفهوم قديم، ومر بعدة مراحل حتى وصل إلى الطور الأخير، فجعلها خمس مراحل:

(أ) **عولمة التصفية الجسدية**: ويدخل ذلك في نطاق ما تفعله القبيلة البدائية الغالبة بالقبيلة المغلوبة.

وهو ما فعله همج الغزاة الأوربيين في أمريكا من تصفية جسدية لأصحاب الأرض المحتلة (الهنود الحمر).

(ب) **عولمة الاستعباد الرقيقيِّ**: وقد كانت تتمثل في ضرورة

البحث عن حل لما يترتب على تلك التصفية باستيراد العبيد من القارة الإفريقية لمن يعتقدون في أنفسهم تمثيل النوع الأرقى (الرجل الأبيض).

(ج) **عولمة الاستعمار الاقتصادي**: وكانت تتمثل في ضرورة التوسع دون تصفية واستعباد، لإيجاد مصادر للمواد الخام، والأيدي العاملة التكميلية، وأسواق مفتوحة للبضائع.

(د) **عولمة الاستتباع الحضاري**: وتتمثل في جعل المستعمَرين توابع يفضلون بأنفسهم مستعمرًا على مستعمر آخر دون حسبان للمصالح، بل يسعون لنوع من الاندماج الحضاري في قيم الغالب المفضَّل، وهو ما يمكن أن نسميه: اقتسام العالم إلى مناطق نفوذ ثقافي.

(هـ) **والمرحلة الأخيرة هي عولمة التصفية الروحية**: عندما يصبح التابعون يجدون في سيدهم المثال الأعلى؛ بحيث يصبح همهم الوحيد أن يكونوا مثله مع الاعتقاد بأنهم لن يصبحوا كذلك إلا بنفي كل ما يميزهم عنه، وهو ما يمكن أن نطلق عليه: (الانتحار الروحي)، فيسخرون من لغتهم وأدبهم وتاريخهم وقيمهم؛ وهو ما يعني إبادتهم الحضارية، وهذا الذي أصبح غالبًا على جُلِّ النخب العربية، وخاصة التابع منها للمافيات الحاكمة الفاسدة المفسدة[1].

(١) آفاق النهضة العربية، أبو يعرب المرزوقي، ١٢٠.

أمام هذا الكم من المصطلحات (الحادة واللغة الصدامية) يحصل عند المتلقي وعي أكبر بالتعريف المناسب للتغريب.

إذن التغريب بناءً على ما سبق: هو عملية تجذير للقيم الغربية بعد استبدال القيم الإسلامية، وهو كذلك يحرص على رصد المحركات الإسلامية التي تحاول إعادة الصبغة الإسلامية للمجتمع، مثل: (المؤسسات الدينية، الجامعات، التعليم، الإعلام)، ويحاول إفسادها.

إذن.. نحن أمام مرحلة متقدمة من مراحل التغريب لا تريد أن تعمل مجرد صبغ للحياة الإسلامية بالصبغة الغربية؛ بل تسعى وبعمل دؤوب إلى تقويض كل المظاهر الإسلامية.

وكذلك للتغريب مداخل وأدوات يتفنن في استغلالها ويراهن عليها دون غيرها من المداخل والأدوات التي لا تدخل ضمن شروط التعريف لمصطلح التغريب.

ماذا يعني هذا؟

هناك دعوة متكررة إلى إحداث تقسيم لمصطلح التغريب إلى:

١ - محمود. ٢ - مذموم.

والمحمود منه يبيح الإفادة من الغرب في كافة المجالات بما لا يتعارض مع الدين الإسلامي ولا يتعرض للهوية الإسلامية بنوع من الاستلاب.

لكـن عندمـا نلجـأ إلى إعـادة النظر في هـذا التقسـيم وما يؤول إليـه، نجـد أن هـذا الجـزء المحمود ليـس هـو المقصود مـن أرباب التغريـب أن يراهنـوا عليه في صراعهـم ومناكفتهم للمد الإسـلامي، فهـم يجيـدون التمييز بين المدخل الذي سـينجح فـي إحداث مردود إيجابي لمشـروعهم وبين تلك المداخل المحايدة التي ستظل عاجزة عن اختراق الحصون الثقافية وزعزعة الهوية.

فبالتالـي يصبح مصطلح التغريب حاملًا لدلالات سـلبية وذات تأثير سَيِّئ تجاه البيئة الإسلامية المحافظة.

هل يعني هذا الانغلاق عن الآخر الغربي؟

١- لا، لكـن الانفتـاح الثقافـي دون مراعـاة واعيـة للضوابـط المنهجيـة وللشـروط الموضوعيـة سـيؤدي إلـى مـآلات (سـيئة)، وتشـوهات فـي منظومات القيـم والثقافـة والأفكار فـي زمن ضعف يتردى فيه حال الأمة، مع أنه لا تلازم بين تقدم المسـلمين في الميدان العسـكري والاقتصـادي وبيـن ضرورة التخلـي وإعـلان القطيعة مع القيم الفاضلة.

٢- ما زال البعض يُسوق لفكرة (كونية القيم)، وأن القيم إنسانية بالدرجة الأولى لا تختص بأمة دون أمة، وأن الغرب قد تتلمذ في حقبة ماضيـة على أيدينا ولم يتحرج من ذلـك، وها نحن الآن نجلس مكانه

على كرسي التلميذ وهو المعلم، وهكذا هي الدورة الحضارية!! هذه الأحرف البلهاء لم تفرق بين ما استفاده الغرب من حضارتنا وبين ما يهتف هو به وينادي بتجرعه، فالغرب لم يأخذ من المسلمين العلوم الدينية والفقهية، بل أقصى ما استجلبه من حضارتنا كان في مجال العلوم الطبيعية المحضة.

صاحب العين التي تبصر المنجز الغربي بنوع من الانبهار والدهشة وتؤجل من نقد الخلل الذي يبدو ظاهرا من خلال الكساء الذي ترتديه تلك الحضارة، عندما يتلفت ذلك المنبهر إلى حيث القيم الإسلامية سيفتقد في عينه نظرات الزهو والثقة والشموخ والاعتزاز.

٣- الصحابة ومن تبعهم هم جيل قرآني بامتياز، مرجعيتهم واضحة ورؤيتهم للأحداث والأفكار والقيم التي تتدافع أمامهم كانت أشد وضوحًا؛ لأن البوصلة القرآنية هي من كان يدير الوعي ويتحكم بالتصرفات ويبني الأحكام.

٤- الممانعات التي تحدث بين الثقافات حق إنساني تعثر عليه في كل ثقافة تستنكف من الآخذ والركون للآخر، فالأنفة الثقافية في الصين والهند وعند الفرس تجدها حاضرة، وحتى الدول الأوربية كفرنسا ما زالت تقاوم المنتج الأمريكي وتربي الجيل الجديد على الاعتزاز بالهوية الفرنسية.

في هـذا الصـدد تذكـرت حكاية لمالـك بـن نبي عـن الطالب (هماسـين) الـذي ذهـب لباريس ليتعلم عـن المعلومـات النووية في مختبر شـهير اسمه (كوري)، وعاد إلى بلده بذات الروح الصينية التي ذهب بها.

هل التغريب يتجدد؟

يناضل التغريبيون من أجل بقاء (روح التغريب) حية في أوصال الجسـد الإسلامي، ولا إشـكال لديهم في إحداث تغيرات في وسائل التغريب وحماية الروح من أن يمسها طارئ.

من يرصد مسـيرة التغريب يجد أنها باتت الآن تتحاشـى صدامًا عنيفا مع تصاعد وتيرة الصحوة الإسـلامية، ممـا اضطرها إلى التذرع بحيل شـتى من أهمها كما ذكر جورج طرابيشي في كتابه (من النهضة إلـى الـردة) أن بعضهم قـد يضطر إلى التخلـي عن كلمـة (العلمانية) لأنها تثير نفور المسلمين كما يقول (محمد أركون)، بل طلب بعضهم إبعادها من قاموس الفكر العربي المعاصر.

هـذه المراوغة كان باعثها ردة الفعل الشـعبية جراء زيادة الوعي بخطورة التيار الدخيل.

كذلـك في مرحلة مبكـرة من التغريب كانت هنـاك دعوة مكثفة لنبـذ اللغة العربية وإحـلال العامية مكانها، لكن هـذه الدعوة نكصت

واستولى عليها الفشل فلم تعد شيئًا يُذكر الآن في سوق التغريب ولم يعودوا حريصين عليها، فبحثوا عن بدائل أكثر فاعلية منها.

من الصور المتجددة التوسل بالمواثيق الدولية والمعاهدات الأممية، وكذلك من الصور المتجددة فرض التغريب عبر المسار الاقتصادي والتبادلات التجارية.



«مراتب المثقفين»

الهرطقة التي نؤمن بها يوم الاثنين، نكفر بها يوم الثلاثاء. (فوزي كريم)

النوع الأول: (**المثقف الفندقي**): هو ذاك المثقف الذي يفتقد لمرجعية مستقرة يأوي إليها لتقرير خطابه الثقافي، وتبعًا لذلك يفتقر إلى رؤية كلية واضحة المعالم.

هو مثقف اعتاد على عدم الالتزام بمنهج واضح يصوغ به أقواله وأجوبته، تخمينًا منه أنه يقف في طابور الاستقلال الثقافي، لكنه في الحقيقة يقف في طابور آخر سَمَّاه بعض المثقفين (الترحال الثقافي)، لذا كان المثقف الفندقي عصيا على التصنيف؛ فتارة يحشر نفسه مع الإسلاميين يُناضل عن مشروعهم ويُقر بجودة خطابهم ويقاوم دعاة تذويب الهوية.

وتارة تلمحه في عداد التغريبيين؛ يقترب من رؤيتهم ويرمي بسهامهم ويمضغ عباراتهم، وقد يعيد نفس أجوبتهم عند سؤاله، لذا يعتبره البعض مثقفًا (براغماتيًا) يدور مع المصلحة الثقافية حيث دارت، ويستبدل ثوبه الثقافي كما يستبدل الإنسان أرديته وملابسه، يقول المودودي: (لما راجت في الناس الشيوعية رواجها، قامت

طائفة ينادون في الناس: أليست الشيوعية إلا طبعة من الإسلام! ولما سمعوا بالدكتاتورية أخذوا يصيحون بطاعة الأمير)[1]. وهواية هذا المثقف (الترحال الثقافي) الذي (يجيد سرعة الانتقال من موقف إلى آخر ومن مذهب إلى آخر)[2].

هذا هو النوع الأول من أنواع المثقفين.

النوع الثاني: المثقف الإسلامي: هو الذي ينطلق في اعتقاده وتصوراته وسمته وسلوكه من مرجعية إسلامية صحيحة (الكتاب والسنة)، وتشعر في خطابه بعزة الانتماء لهذه الثقافة الخالدة.

المثقف الإسلامي لا يتوانى عن الحضور في كل مناسبة تولد فيها شبهة ضد الإسلام دينيًا وحضاريًا، فيقوم بدوره في نقض تلك الشبهة، ويستهويه النضال والدفاع عن عالمية الإسلام وشموله وصلاحيته لكل زمان ومكان، وتراه يتباهى بالقيم التي تكونت تحت سقف هذا الدين.

المثقف الإسلامي بين جوانبه روح غيورة تطالبه بالاستمرارية وعدم الانقطاع والإبداع لا التقليد واستحسان شعارات الوحدة والألفة والتعايش بديلا عن الفرقة والشرذمة.

---

(١) «نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور» للمودودي ص١٤.
(٢) مناهج الفكر العربي المعاصر لشاكر السحمودي.

المثقف الإسلامي لا يُقدس التراث كما يتهمه الآخرون؛ بل يرى له حرمته، ويرى لأولئك النبلاء خيرية وأسبقية في الفضل، ويعترف بترك الجزء الذي لم يعد نافعًا منه، لكنه لا يفتعل قطيعة معه، ولا يسترسل في لطم جسد التراث بدعوى الاستقلالية كما يفعل المثقف التغريبي الذي يتشبع بهذه المنهجية الكالحة.

المثقف الإسلامي يقرأ التاريخ قراءة عادلة، ولا يتأثر بالقراءات الماركسية والليبرالية والثورية.

لا يجترئ على التقليل من شأن النص الشرعي، ولا يفاخر بتقديم الكثير من المعايير المعاصرة عليه، يستدل بالنص الشرعي في مقالاته وأبحاثه وفي حواراته، ويستخلص من ذلك النص مفاهيمه ورؤيته الثقافية.

المثقف الإسلامي نظرًا لاستقلاله ووعيه وإحاطته المميزة بالجدل المعاصر حول مفاهيم ثقافية حاضرة، وكذلك تفرده عن الواعظ والفقيه بخلفية معرفية ولغة ثقافية عالية قد تناسب شريحة من الشباب الذين لديهم حماس وتوجه للتعاطي مع هذه القضايا والنقاش حولها والتأثير والتأثر، فيجدون مرادهم عند المثقف الإسلامي حين لم يجدوه عند الداعية والواعظ والعالم الشرعي.

النـوع الثالث: المثقـف التوافقي: هـو الذي قام بعمليـة توافقية بيـن الإسـلام ومعطيات العصر الحديـث، وربما وضع له فـي البداية احتـرازات وتحفظـات مـن علـو كعـب الفكـرة الغربية علـى الفكرة الإسلامية في منهجه، لكن تلك الاحترازات لن تستمر، وسيظهر جيل لاحق يتبنى الجانب الغربي ويتهاون في الاحترازات.

النـوع الرابـع: المثقـف التغريبـي: الـذي يناضـل وببسـالة عن قيـم الغـرب، ولا يتورع عن المغـالاة في التسـويق لمذاهبهم الفكرية والثقافية، فالرؤية الغربية هي منطلقه ومرجعه في التطورات والمفاهيم وحتى السلوك.

عندما يتحدث عـن منظومة القيم فهو يعني أصالةً القيم الغربية، وعندمـا يقـرأ أو يتفحـص التاريخ الغربـي فهو عبارة عـن منجم ثري لعمالقة وعباقرة الفلسفة والفكر وعلم الاجتماع.

الحلـول الجاهـزة تكمـن لديـه فـي تريـاق (العلمانيـة)، وقـوة (الليبراليـة)، وثـراء (التعدديـة) الفكريـة، ووهـج (الحريـة)، وسـمو (الفردية).

الحضارة الغربية لديه هي حضارة (استثنائية) و(باهرة) و(مدهشة)، يقول أحدهم: «ليس أمام المجتمعات سوى خيار واحد؛ هو إتقان الأخذ بالأفكار والنظم والعلوم والآليات الغربية»[1].

وبعد أن يسوق حشدا من أوصاف التبجيل والتفخيم عن تلك الثقافة المدهشة والباهرة في نظره يهمس على استحياء قبل آخر السطر: (ولكن لنا خصوصيتنا الثقافية! !)، **لا تهتم بتلك العبارة الميتة، فقد جعلها كلوحة قابلة للسقوط يراد منها إحسان الظن به.**

* * *

---

(١) إبراهيم البليهي.

مراتب الانتساب للتغريب

يتفاوت الانتساب إلى مدرسة التغريب من مثقف إلى آخر، ويمكن أن يفرز هؤلاء المثقفون إلى مرتبتين من الانتساب:

١ - الانتساب الصريح:

والمقصود منه هنا الإفصاح والمجاهرة دون خشية أو تردد في إعلان المثقف لهويته التغريبية، والإصرار على إبراز تلك الهوية في كل المحافل التي تشارك فيها، وهذه الصراحة في الانتساب أبرز من يمثلها رواد المرحلة الأولى من التغريب كسلامة موسى وطه حسين و(فرح أنطون) وآخرون، وكذلك العرب النصارى، وكذلك جمهرة ممن أشهر البراءة من المنظومة الإسلامية، وهذا الفصيل المعلن لعقيدته يثرب ويهاجم النوع الآخر (الانتساب الخفي)!! ويصف منهجه بأنه نكوص عن المسؤولية ومحاولة لا أخلاقية للتأثير على المتلقي تحت عباءة أخرى تخفف عنه مشقة الجهر والإعلان بما يضمره.

٢ - الانتساب الخفي:

هو ممارسة المثقف العربي دوره التغريبي دون أن يفصح عن ميوله متظاهرًا بالحيادية؛ إما خشية من غضب الوسط الإسلامي ذي الجماهيرية العالية، أو لكي يصنف على أنه مفكر محايد ومستقل.

يتساءل محمد عمارة عن حال المفكر حسن حنفي، فهو كما يزعم - أي حنفي - وكما يُظهر للناس أنه داعية لاستقلالنا الحضاري ومناضل ضد التغريب والإلحاق الحضاري والتبعية! لكنه يوجه له السؤال مباشرة:

(إذا كنت تجرد الإسلام من محتواه الديني والإلهي، ألا يسهل هذا على التغريب مهمة الاجتياح لهذا الحصن المنيع الذي يضمن لنا الاستعصاء على التبعية والذوبان؟ لقد حولت إسلامنا إلى علمانية وإلحاد! فما الذي يبقى مميزًا لعقيدتنا عن الفكر الغربي؟)[١].

ومن العجيب أن نجد بعض من ينتمي إلى الفكر التغريبي قد تنبه إلى أهمية العلاج الديني، وحث على الاستفادة من العلاج في مواجهة التغريب المفزع[٢].

ومن صور الانتساب الخفي أيضًا ما يفعله بعض المثقفين العرب من نقد للنموذج الأمريكي والأوربي ودعوى أنه لا ينطبق على مجتمع فقير محدد الموارد كمجتمعاتنا، لكنه لا يمانع في أخذ أي فكرة غربية تنهض بالمجتمع كالعلمانية، فالأمر لدى هذا النوع

---

(١) «الخطاب الفلسفي في مصر» أحمد عطية، ص٤٨٨.

(٢) «النظريات العلمية الحديثة وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها» حسن الأسمري، ص٦٠.

من المثقفين في الاستفادة قدر الإمكان من الأفكار الغربية التي تجعل مجتمعاتنا تنهض في مصاف الدول العلمانية[1].

ومن صور الانتساب الخفي ما يمارسه بعض المثقفين من دفاع عـن هوية الأمة وعن حضارتها، ويهاجم مبدأ التبعية للغرب، لكنه في نفس الوقـت يستخدم المناهج الغربية بـكل مهارة في نقد وتشـريح التـراث الإسـلامي وتحجيم الـدور الريـادي لهذه الحضـارة، وإبراز حقب معينة على أنها هي الوجه المشرق للعقل الإسلامي.

ومن صور الانتسـاب الخفي. . التنديد بالتبعية السياسية للغرب وتجريـم كل مـن ينـادي بها، لكـن ذلك المثقـف ليس لديـه مانع في التبعية الثقافية.

مراحل الصراع بين الرؤيتين:

منـذ أواسـط القـرن الثامن عشـر الميـلادي والعالم الإسـلامي مقتلـع النوافـذ والأبواب أمام طوفـان الفكر الغربـي والمنهج الغربي والحضارة الغربية، مما جعل شـريحة واسـعة من المسـلمين تتعرض لموجـات مـن الاسـتلاب الفكري وإلـى اهتزاز فـي القيـم والثوابت وتتعلق بالقيم الوافدة.

التكتلات السياسـية والفكرية والعسـكرية والإعلامية في تلك الحقبـة الزمنيـة تناوبـت علـى اسـتعمار العقـل والأرض؛ ممـا جعل

(١) «العقل والدين» أحمد محمد سالم، صـ ٣٠٢.

الصدمات المتتالية لا يتحملها الإنسان المسلم، ولم يكن أيضا يملك القدرة المعرفية لمقاومتها ولا الجهد الفكري لفرز الصالح من تلك القيم ونبذ السقيم.

منذ احتكاك الشخصية الإسلامية بالمعرفة والفكر الغربي تطورت مراحل التأثر والتأثير إلى مراحل وأطوار، وقسمها بعضهم[1] إلى عدة مراحل، مع أن عملية وضع تحقيب زمني للظواهر الإنسانية تبدو معقدة، لكن من باب التقريب فحسب:

المرحلة الأولى -

مرحلة الصدمة الأولى والانبهار المباشر؛ وهي مرحلة زُلزل فيها المسلمون زلزالًا شديدًا عن مواقفهم الفكرية والثقافية، وخُيِّلَ إليهم أن الإسلام كله بات في قفص الاتهام، وانهزم الإنسان المسلم في داخله وبات مستعدًا لاستقبال البديل الغربي، ومن سمات تلك الحقبة: (ابتعاث أبناء المسلمين للجامعات الغربية، إنشاء المؤسسات والمناهج التعليمية على النمط الغربي).

المرحلة الثانية:

هي المرحلة التي بدأت النفوس تستقر إلى حد ما وتجتاز فترة الانبهار، وبدأ المسلمون يلتقطون أنفاسهم ويراجعون مواقفهم

(١) «نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي» للدكتور/ طه جابر العلواني ص٣٤ بتصرف.

ويتعاملون مع المقولات الغربية ويراجعون وينقحون، فشاعت أفكار الموازنة والمقارنة والبحث عن وجوه الالتقاء بين الإسلام والغرب، فبدأ البعض يجهر بالقول: (أنه إذا كان لديكم حرية فلدينا في النصوص الشرعية نصوص العدل والحرية حاضرة، ولو لديكم ديمقراطية فلدينا شورى)، فهي مرحلة تجاوزت الصدمة إلى مرحلة البحث في الإسلام، ولكن بعض المثقفين سقطوا في كمين التلفيق عندما رفعوا شعارات كـ (اشتراكية الإسلام) و(ديمقراطية الإسلام) وغيرها من الشعارات التي تعتبر محاولة للتقريب بين مناهج ورؤى متباينة تماما، ولا يمكن أن يتم عمل توافق ومواءمة بين أصول المنهجين إلا بالتفريط في بعض تلك الأصول.

المرحلة الثالثة:

تدعى (مرحلة الصحوة)؛ وهي مرحلة الوعي بالذات واكتشاف الذات، وهي مرحلة الجهر بمزايا الإسلام وخصائصه وشمولية نظامه فكرًا وسلوكًا ومنهج أخلاق وقيم.

وفي المقابل تم اكتشاف عورات الغرب الأخلاقية والقيمية والضياع المعياري والتيه العقدي والتكبر العالمي، وأن المناهج الغربية لم تعد صالحة لبناء حضارتنا وثقافتنا، ولقد تدثرت هذه

المرحلة بلغة مشحونة بالعزة والاستعلاء اليقيني ولغة إسلامية خالصة تُحيي مبادئ الإسلام في كل مجالات الحياة.

وبعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.. وبعد ضخامة الحدث العالمي، يُجابه العالم الإسلامي والتيار السلفي بالتحديد طورًا جديدًا من أطوار الصراع؛ فقد وضعه الآخرون تحت مجهرهم، وتكتلت ضده مشاريعهم العسكرية والإعلامية والفكرية والحقوقية، وحتى الإغاثية التي تعرضت لكثير من المنع والتحجيم وجعلت بعضها تحت طائل التهم بالإرهاب، وتناولت العديد من الدراسات الشأن السعودي بمزيد من العناية ومزيد من التضييق.



«الصحوة الإسلامية»

في كتاب (رأيهم في الإسلام)[1] الذي حاور مؤلفه أربعة وعشرين أديبا ومفكرًا علمانيًا، كان هناك سؤال هام يقول: **هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كحكم؟**

الحوار الذي ضم نخبة من أبرز وألمع الأسماء العلمانية من الأطياف الليبرالية والاشتراكية أغلبهم كان يحمل أجوبة ترفض وجود دولة إسلامية، وأيضًا يحمل تصورًا مشحونًا بالمغالطات تجاه الحركات الإسلامية والتوجه الديني بشكل عام.

أكثر من خمسة عشر مثقفًا علمانيًا رفضوا وجود دولة تحكم بالشريعة، وخمسة أسماء وافقت بشرط وجود «تفسيرات عصرية» ومتطورة للإسلام، وثلاثة أسماء رفضت الإجابة.

هذه النخبة تضم أسماء تتصدر في المشهد الثقافي كمحمد أركون ولويس عوض والطيب صالح والطاهر وطار وجمال الغيطاني ونجيب محفوظ وآخرون.

(١) كتاب «رأيهم في الإسلام» تأليف/ لوك باربولسكو، و فيليب كاردينال.

هـذه الجمهـرة التـي تملك مقاليـد التغريـب في بلاد الإسـلام تجاهـر بقولها وتعتبـره همًا فكريًا ومطلبًا للرقـي والتقدم، في حين لو صرح مثقف إسلامي وطالب بوجود نظام سياسي إسلامي في الوطن الإسـلامي لأصبح مطلبه دعوة للرجعيـة، فالزمن المعاصر تخلى عن النظـرة الدينيـة كما يـروج لهذه الدعـوى أباطـرة العلمنة، لـذا تمتلئ معاجمهم تجاه الإسلام بعبارات مثل:

١- الإسلام يتعارض مع إقامة دولة حضارية.

٢- لو طبقت الشريعة فسيكون مصيرنا الدولة الخمينية.

٣- الإسلام ليس به نظام سياسي؛ هو رسالة روحية فقط.

٤- دعـوى تطبيق الشـريعة في هـذا العصر هي دعوى سياسـية المقصد منها الوصول للسلطة.

تغريـب النظـام السياسـي لا يمثـل مرحلـة متقدمة في مشـروع التغريب، لكن الجديد هو عملية اسـتئصال الحركات الإسـلامية التي ترمي إلى إعادة النظام السياسـي الإسلامي إلى موقع الريادة ومحاولة إلصاق التهم بها وتشويه رايتها في ظل صراع محموم بين الإسلاميين والعلمانيين.

الاسـتماتة العلمانية في دفع محاولات تطبيق الشريعة في البلاد الإسلامية هي جولة من جولات منع أسلمة المجتمع، فتطبيق الشريعة

هو أسـهل طريق يمكن للإسـلاميين أن يعبروا من خلاله لتكوين دولة إسلامية حقيقية ونقية من الشوائب الفكرية المعاصرة.

عمليـة التغريـب بـدأت منـذ العقود الأخيـرة من كهولـة الدولة العثمانية، ولكن الوعي بها وبدهاليزها ارتفعت لدى الناس مع ارتفاع موجـة الصحوة المباركة التـي راجت الأطراف الإسـلامية، الصحوة التـي غذتهـا الحـركات الإسـلامية التـي أبرزت (شـمولية الإسـلام) وإحياء الكثير من المعالم التي اندرست جراء الحملات اللادينية التي مرت على ثرى الوطن الإسلامي.

إسـلامية الحكم هي المحـك الحقيقي للإصلاح ولاسـترجاع الهوية، الإسلام في نظر المفكر العلماني كالمسيحية؛ لا بد أن ينكمش في المسـجد، ولا بد أن تظل الروح الإسـلامية بلا عقـل يدير أزمتها، فالجسد الإسلامي لن يسلم بروح إسلامية وعقل علماني غربي، فمن هنا ولدت المطالب الشرعية بتطبيق الشريعة.

ومـن هنا نهضت حركـة صحوية تنزع عن الأمـة عبارة التغريب وتغتسل بماء النقاء لا يكدرها شيء، هي حركة تطالب بتطبيق الشريعة في جميع مناحي الحياة في البلاد الإسلامية، وهي بهذه المطالبة تدعو إلى قيام نظام شامل للحياة يختلف عن مفاهيم الغرب وقيمه.

هذه الصحوة أعادت للمسجد عمارته بالصلاة وتزاحم المصلين على أبوابه، أعادت فكرة البنوك الإسلامية وأعادت للمرأة حجابها وحشمتها وعفافها، وارتفع الطلب على الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي.

الصحوة الإسلامية هي يقظة دينية انتشرت في كل جوانب الحياة، وأيقظت تلك المعاني الإسلامية العالية في كافة شرائح المجتمع وخاصة عند الشباب.

الشباب المسلم كان هو وقود هذه اليقظة والصحوة المباركة بعد أن تحرر من أصفاد الموجات التغريبية الوافدة التي تتالت على كيان الأمة المسلمة ردحًا من الزمن، الصحوة لم تكن يوما همًا نخبويًا كبعض التيارات الفكرية التغريبية! بل كان الجميع ينضوي تحت رؤيتها النقية؛ (الرجل والمرأة، والصغير والكبير).

الصحوة اهتمت بالجانب العلمي التأصيلي إلى جوار الاهتمام التربوي بالناشئة، توسع عملها في المحاضن التربوية واهتمت بصقل شخصيات أولئك الفتية والسمو بهممهم نحو معالي الأمور بعد أن كان مطمح أولئك الفتية اللهو والعبث وتزجية أوقاتهم في الباطل.

الصحوة اعتنت بالعمل الإغاثي والتطوعي، واقتطع الشاب من ثمين وقته ما يملأ به حاجات الآخرين، وهذا النمط التطوعي أصبح

هما جماعيا يشترك فيه الصغير والكبير، ويرسم ملامح حياة تراحمية تكافلية رائعة وأخاذة.

إذن نستطيع أن نجمل أبرز سمات الصحوة في نقاط[1]:

- تأثير الصحوة الإسلامية في كافة شرائح الأمة.
- إنشاء الجماعات والحركات الإسلامية في جل البلدان.
- التزام الشباب في المدارس والجامعات واعتزازهم بالهدي النبوي.
- هداية نفر من كبار الكتاب والمفكرين والصحفيين ممن عرف بالإلحاد والانحراف.
- إنشاء الجمعيات والمراكز الدعوية الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه.
- الدعوة إلى أسلمة المعرفة والانعتاق من هيمنة الفكر الوافد.
- كسب الإسلاميين ثقة العاملين في جمعيات النفع العام وتسنم قيادتها من خلال ترشيح أعضاء النقابات لهم.

* * *

---

(١) مجلة البيان، العدد ٧٢، الافتتاحية.

سمات المثقف الإسلامي

١- **إعلان الهوية**: ظهور أثر مرجعيته الإسلامية على خطابه وعلى موقفه أثناء مشاركته الفاعلة في المشهد الثقافي، والاعتزاز بهذه المرجعية والغيرة على تلك القيم والشموخ للمثل التي يناضل عنها.

٢- **العمق الفكري**: وذلك بالبحث في عمق الظاهرة وتتبع جذورها وصيرورتها والحذر من السطحية في تناول القضايا، ينبغي البحث في جوهر الأزمة وحقيقة المرض وعدم الاكتفاء بمعالجة الأعراض والمظاهر الجزئية التي تطفو هنا أو هناك.

وألا يكتفي بالنظر إلى النوازل الثقافية من ثقب الباب كما يقال، بل لابد أن يكون حريصا على تكامل الرؤية كي لا يقع في فخ السطر الواحد.

٣- **علو الهمة**: ألا يجعل غايته وقبلة أمانيه الصراع مع رجال المد التغريبي وصد غوائلهم، بل لا بد أن ينطلق بهذه القيم الفاضلة لتكوين إنسان الحضارة الذي يشمخ بما لديه ويقف ندًا لمنافسه الغربي.

٤- **التحذيـر مـن الثنائيات**: سـقط المثقف التغريبـي في هوس الثنائيـات الضيقـة، فانتقل من رحاب الشـمول إلى ضيـق (التجزئة)، كمـا هو حال الحضـارة الغربية، فإما (الديـن أو الدولة)، وإما (الله أو الإنسـان)، وإمـا (العلم أو الديـن)، وإما (الحداثة أو الإسـلام)، على المثقف الإسـلامي التحرز من هذه الثنائيات لكـي (يصبح قادرًا على بلوغ قيم الحقيقة الإسلامية واكتشاف قيم الفضيلة الإسلامية، ومن ثم ينزل إلى هضاب الحضارة المتعطشـة)[1] فيرويها بالحقيقة الإسلامية وبالهـدى؛ لأن الحضـارة العلمانيـة حضـارة الصـاروخ وحضـارة الإلكترون التي اكتسـبت أشياء، وضيعت بعدًا آخر تشعر بفقدانه وهو بعد السماء.

٥- **تمـام الوعـي**: يقـول مالـك بـن نبـي: (بـدأ العالـم يتأمرك، وذلـك من خلال انتشـار الأفـلام الأمريكية ورواجهـا، وإقبال الناس علـى تقمص الشـخصية الأوربية حتـى في المأكل والمشـرب وثقافة (البيبسـي كـولا) و(الهمبرغـر) وغيرهمـا من أنمـاط نمـوذج الحياة الاسـتهلاكية، وإذا تعلق الأمر بالعالم الإسـلامي فإن السـائح الغربي يجد النبيذ والإباحية والعري والربا والتقويم المسيحي، وحتى إجازة السبت والأحد)[2].

---

(١) صراع الحضارات، جعفر إدريس.

(٢) الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري، بدران الحسن.

انظـر إلـى الوعـي بمظاهر التأثـر بالنمـط الغربي لـدى المثقف الإسلامي وأهميته في تحديد مجالات التبعية التي نزلت بالأمة.

٦- **الاستمرارية:** تعتبر عنصرًا أساسيًا حتى تظهـر الفاعلية في الجهد المبذول من المثقف الإسـلامي، فبعض المثقفين قد يناله حظ مـن الوهن والتلكـؤ والضعف وسـط عاصفة من التراشـق الإعلامي التغريبـي، فيفضل حب السـلامة وينزوي في ركن بعيد، وفي أحسـن الأحـوال يكتفي بالإنـكار القلبي علـى تحمل تبعـات نضاله وتحمل مسؤولياته.



جذور المثقف التغريبي

(كان الفرنسيون في بعض أوقاتهم يتحدثون عن انتشار ثقافتهم في الأرض، فيقول قائلهم: إن لكل مثقف وطنين؛ أما أحدهما فوطنه الذي ولد فيه ونشأ، وأما الآخر ففرنسا التي تلقى الثقافة عنها).

(طه حسين)

عندما كان شيخ العربية محمود شاكر يصوغ بسن قلمه البليغ حديثًا عن (الطريق إلى ثقافتنا)، كان هناك في المقابل من جنس المثقفين من يرسمون ملامح طريق مماثل إلى ثقافة أخرى ووطن آخر، المثقف التغريبي هو مجرد أصداء لما يقع في الحقل الثقافي الغربي، ومجرد وعاء قدر له أن تعبأ فيه مادة تلك الثقافة، فليس له يد البتة في صنعها والتأثير فيها، عندما تعرضت روحه لرياحها الهوجاء لم يَقْوَ على الثبات ولم يلجأ لجبل يعصمه من ماء التغريب فغرق في (طوفانه).

يقول جابر عصفور: (بعد المناظرة التي جرت بين العقاد وطه حسين في الثلاثينات، وهي المناظرة التي أخذت تجليات أكثر حده حتى في توزعها الجغرافي، فكأنه صراع بين الثقافتين الفرنسية والإنجليزية، فغلبت الفرنسية على البلاد التي احتلها الاستعمار

الفرنسي، بينما غلبت الإنجليزية على الأقطار التي احتلها الاستعمار (الإنجليزي)[1].

وهذا الولع بالنبع الغربي ليس على مستوى واحد، فهو يبدأ في صورة هوس وانبهار بالثقافة الغربية ونتاجها المتعدد من فنون وأشعار ومقالات إلى مستوى آخر وهو ترجمة لذلك التراث إلى الفضاء العربي بكل أمانة وضبط دون تعقب أو استدراك أو حتى مُساءلة لهذا الكم من المترجم.

ومستوى ثالث وهو التسابق على شرف التتلمذ على أسماء لامعة وقامات غربية معروفة إما في بلادهم الأصلية أو جلبهم إلى البلاد العربية كأساتذة في الجامعات.

ومستوى رابع يصل إلى حد الاستخذاء والنيل من اللغة العربية الخالدة وتوصيفها بأنها لغة لم تعد تُساير مرحلة النضج الثقافي المعاصر، فتجد هؤلاء المثقفين يفاخرون بالرطانة بلغات أجنبية، ووصل بهم الحال إلى استخدام لغة هجائية وساخرة في حق الحقبة الإسلامية وإعلان البراءة منها.

(ولو واصل الفكر المتغرب الحرب التي كان المستعمرون يشنونها على الإسلام ورجاله لكي يتحقق لهم الغلبة على الأمة

---

(١) «نحو ثقافة متغيرة» جابر عصفور.

ظنـا منهم أن في ذلـك تحريرًا للشـعب وتحريرًا للمـرأة وتخلصًا من سـلطة الأب في العائلة وإطلاقًا للعقل واندفاعًا في طريق الاستقلال، ولكنه لم يعلم أن تلك الحرب تأتي بنتائج معاكسة تمامًا، إذ انكشفت الحقيقة عن أن الشـعوب تحطمت وشـلت، والمرأة تاهت وضاعت، وتمزقـت العائلـة، والعقل أصبح مغلولا إلى الغـرب، ثم وصل الأمر إلى أن يعلن ذلك الفكر أننا نعيش (زمن الانحطاط العربي)[1].

مع ذلك ما زال المثقف التغريبي يزدحم جدوله الثقافي بمهمات ومشـاريع وأهداف للقيام بها، فهو في مهمة مقدسـة تستوجب منه ألا يصيبـه الجزع ولا التبرم ولا الملل، تـراه مثقلا بالمهمات التي تحوي هجومًـا علـى التعليم الدينـي والعلماء والمـرأة المتدينـة والحركات الإسلامية والحجاب والقنوات المحافظة وعلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الأنشطة الدعوية.

* * *

(١) «المثقف بين الإسلامية والعصرانية» عبد الرحمن الزنيدي ص٧٦.

جذور المثقف التوافقي

بما أن الفكر التغريبي يملك ترسانة من المضامين الفكرية التي يتشوف دومًا لتمريرها إلى سواحل المجتمعات المحافظة عبر المركب الملائم، هو لا يهمه نوع المركب وطبيعته بقدر ما يهمه أن تصل الفكرة من خلاله.

ولذلك هي تتجدد في الأوعية الثقافية والمناهج التي تستخدمها للوصول إلى مرادها، ولذا كان المنهج التوفيقي هو (مركب المرحلة) الذي امتطته واستثمرته الفكرة التغريبية وحققت من خلاله نتائج مذهلة.

الشعوب المسلمة ينتابها قدر من التوجس والحذر من الخيارات الصارمة والصادمة لجذورها المتدينة وطبيعتها المحبة للدين، الدين يمثل دافعا قويا ومكونا أساسيًا في كافة التصورات لدى الشعب الإسلامي، لذا كل من فشل في تمرير بضاعته الفكرية المصادمة للدين كان سبب فشله أنه لم يفطن لحضور الدين العميق في الواقع الإسلامي.

من هنا كان «عالم الدين الشرعي» يستحوذ على ثقل علمي ضخم في حياة المجتمعات الإسلامية قبل الاستقلال خاصة،

وكذلك بعده، مع أنه الآن يجد له منافسة عالية من قبل المثقف وعالم الاجتماع وعالم التربية وغيرهم من أهل الاختصاص.

العالم الشرعي حظي لدى العوام بكونه مرجعًا فقهيًا وعقديًا وتربويًا واجتماعيًا يفتشون بين حروفه عما يسكن ويهدي مشاكلهم وأوجاعهم، ويفتح لهم آفاق الحل لأزمة مستعصية أو ضائقة عابرة.

من هنا تهاوت الخيارات التغريبية الراديكالية المستفزة أمام المتلقي العادي، لكنها لم تتهاوى أمام خيار جديد يمثل رؤية جديدة تشكلت في رحم الأرض الفاصلة بين الرؤيتين الغربية والإسلامية وهي (الرؤية التوفيقية).

خطورة المنهج التوفيقي تكمن في أنه (يكمل ما حاول العلماني أن يصنعه دون نجاح فوري حققه التوفيقي، ثم في جيل مقبل تناول العلماني ما أنجزه التوفيقي من تطور فكري نسبي فدفعه إلى الانطلاق خارج المركب التوفيقي)[1].

الاستفادة من القيم والمفاهيم والمبادئ الوافدة في لحظة صراع غير متكافئة بين ثقافتين مستقلتين لا يستحسن أن يعتذر لها بأننا عملنا لها عملية تشذيب وفلترة نوعية حتى باتت في مأمن الآن من أن تكون مؤثرًا فاعلًا في خلخلة المنهجية الإسلامية.

---

(١) «الفكر العربي وصراع الأضداد» د/ محمد جابر الأنصاري، ص ٢٥٩.

يقول محمد محمد حسين: (إدخال الأفكار الوافدة بعد تشذيبها لا يعنـي أنها سـتبقى دون تأثيـر خطير وأنها سـتظل منضبطة بالحدود لأنها تحتفظ في باطنها بطبيعتها الأصلية المعيارية)[1].

مـن تلك القيم التي طرحها التراث الغربي العلماني وبكثافة غير مسبوقة (قيمة الحرية).

العدل كان هو القيمة المتداولة في الخطاب الشـرعي الإسلامي وفي العقل الفقهي بالأخص، وهو الدارج في أدبياته، حتى وفد مفهوم الحرية في بداية القرن التاسـع عشـر عبر جمهور المبتعثين الذين هبوا إلى الوطن الأوربي.

أول محاولـة كانت هي التي مارسـها «رفاعـة الطهطاوي» الذي عاد من بعثته الفرنسـية بروح متغربة عكس الروح التي غادر بها أرض مصر، وكانت مهمته أن (يسـكن المكتسـب الليبرالـي الغربي للحرية داخل الشـق الشـرعي، وكانـت أحاديثه تـدور أول الأمر حـول حرية المعتقد وحرية النشر وحرية الصحافة)[2].

هو لم يلامس السـقف العالي للمعنى الفج للحرية مبكرًا، لكنها كانت بداية لوثبة غير مسبوقة في عالم لم يَعِ ذلك المعنى الجديد.

---

(١) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» د/ محمد محمد حسين، ص٢٨٣.
(٢) «العقل والدين» أحمد سالم، ص ٢٣١.

حاول التوفيق بين الحرية والعدل، وهذا المعنى التوفيقي هو الذي كان سائدًا في تلك الفترة من بدايات القرن التاسع عشر فحافظ عليها محمد عبده، لكن المنهج لم يحافظ على نسقه الطبيعي فانزلقت العديد من الأسماء من المدرسة التوفيقية في الفخ الليبرالي أمثال أحمد لطفي السيد وآخرين.

ما الذي حدث بعد ذلك؟

(تبنى الجيل الليبرالي مثل أحمد لطفي السيد الدعوة إلى الحرية، متأثرًا بتراث الليبراليين الغربيين، ذاهبًا إلى أن مذهب الحرية هو أنفع المذاهب في كل البلاد على العموم)[1].

تناول لطفي السيد الحريات بكافة تمثلاتها، فتكلم عن حرية العمل والصحافة والمعتقد كما فعل الطهطاوي من قبل، لكن التوافق الذي ابتكره الطهطاوي بين النسق الليبرالي والشرعي تزحزح على يد لطفي السيد ورفاقه إلى المسار الليبرالي الخالص.

أين وقع الخلل بالتحديد؟

الاستقراء لهذه التحولات المتعاقبة في فترات زمنية ليست بالطويلة تدل دلالة قاطعة على فساد المنهج التوفيقي الذي تضعضع أمام رياح المفاهيم الغربية.

---

(١) «العقل والدين» أحمد سالم، ص ٢٣٨.

(ألبرت حوراني) يفسر أن جوهر الخلل يكمن في أن المجادل في فترة الدفاع عن النفس قد يصبح أقرب إلى خصمه مما كان يظن، وضرب مثلا بـ (محمد عبده) في نقاشه المشهور مع (فرح أنطون وهانوتو)، ووضح أنه لم يهتم في أثناء نقاشه بصحة الإسلام أو خطأ القول الآخر، بل حصر اهتمامه بأمر اتفاق الإسلام مع متطلبات الفكر الحديث، فقد تابع النهج الذي سار عليه الطهطاوي في الموافقة بين المفاهيم التقليدية والأوربية، وعلى هذا النهج انقلبت (المصلحة) إلى (منفعة) والشورى إلى (ديمقراطية) والإجماع إلى (رأي عام)[1].

ثم يتابع حوراني تحليله العميق:

(وليس من المصادفة أن يستخدم معتقداته فريق من أتباعه في سبيل إقامة العلمانية الكاملة)[2].

المثقف العلماني المعاصر بات ينظر إلى إنجاز المدرسة التوفيقية على أنها مكتسبات ينبغي الذود عنها والانطلاق منها، خاصة عندما نهضت أصوات ترفض رؤية المدرسة التوفيقية، وتطالب بالقطيعة مع قيم التراث الغربي كما حدث مع كتابات (المودودي) الذي استبسل في نشر مفهوم «الحاكمية» بروح لم تضعفها معاني الانهزامية والتبعية، فمال إلى راية المفاصلة مع الغرب وإعلان التمايز واضحا بين الرؤيتين الإسلامية والغربية.

---

(١) «الفكر العربي في عصر النهضة» حوراني، ص ١٥٣.

(٢) «الفكر العربي في عصر النهضة» حوراني، ص ١٥٥.

يقول كمال عبد اللطيف المفكر العلماني:

(ويكشف مفهوم الحاكمية - كما جاء في كتابات المودودي - عن عمق التراجع الحاصل في المنظور الإسلامي، حيث يعاد تأسيسه مـن رفض مطلق لقيم التراث الغربي مقابل العودة إلى نصية تفرط في مكاسب المنزع التوفيقي الذي حسمت اختيارات محمد عبده)[١].

ويقـول المفكر فهمي جدعان: «ونحن منـذ مبدأ النصف الثاني من القرن العشـرين نشـهد وجهًا مسـتحدثا للإسـلام ليـس هو الوجه الـذي رأينـاه عند رفاعـة الطهطاوي والتونسـي ومحمد عبده وقاسـم أمين. .. وترتسـم على هذا الوجه الجديد آثـار مفكرين اثنين بارزين: أبو الأعلى المودودي، وسيد قطب.

أمـا وجهة هذين المفكريـن فثلة من المفاهيـم الجذرية: مفهوم الاستخلاف، ومفهوم الجاهلية»[٢].

* * *

---

(١) «أفكار النهضة» وجيه كوثراني، ص ١٥٢.

(٢) «أسس التقدم» فهمي جدعان، ص ١٢.

«مشاريع تغريبية»

على مدى القرنين الماضيين يتجدد مسار التغريب وتنشط أذرعه، وبُثَّت له روح جديدة تقاوم الممانعة الشعبية الإسلامية، أخفقت تجارب وانتصرت تجارب أخرى، والمتأمل يجد أن هناك عوامل حاضرة ساهمت وبفعالية في نجاح تلك الإنجازات التغريبية في البلدان الإسلامية.

لذا أزعم أني درست بعض هذه التجارب والمحاولات وعملت على فحص العوامل التي أعانتها على البقاء، فخلصت إلى أن العمل التغريبي لم ينجح ولم يستثمر نجاحه إلا بتوافر عدة عناصر:

- غطاء سياسي، أو على الأقل عدم الممانعة السياسية.
- وجود نخبة ثقافية تسوق للمشروع.
- وجود دعم شعبي، أو على الأقل عدم وجود ممانعة عالية المستوى.
- يكون المشروع مؤسساتيًا وليس عملا فرديا لا يدوم.

وهناك عامل خامس لكنه ليس مؤثرًا كسابقيه، وربما كان مجرد داعم يعطي صفة شرعية ويقلل من قسوة الفكرة التغريبية، وهو «دعم الصوت الشرعي لهذا المنجز التغريبي».

هذه العوامل الرئيسة والمؤثرة جدًا في مسيرة المنظومة التغريبية وفي تماسكها؛ تعني الكثير للمجتمع الإسلامي الذي يريد أن يقتلع جذور التغريب من بلاده، ولن يكون ذلك من دون إدراك العوامل الرئيسة في ذلك حتى يمكن علاجها.

وحتى يكون الرصد عمليًا، وضعت أمام القارئ الكريم ستة مشاريع تغريبية ولدت في الوطن الإسلامي، وبعضها لها تاريخ طويل وبعضها ذات أجل قصير جدًا!! .

لكنها تتشابه في العوامل التي ذكرتها سابقًا، ويستطيع القارئ الحكم بنفسه، ولا أزعم هنا أني حصرت جميع المشاريع التغريبية العملاقة، ولكن هذه عينة مهمة وبارزة سأضعها قيد الدراسة ليعرف المتابع أثر تلك العوامل في ديمومة العمل التغريبي.

أهم المشاريع هي:

١- اليونسكو.

٢- الحركات النسوية.

٣- ستار أكاديمي.

٤- الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥- مدونة الأحوال الشخصية.

٦- الجامعة الأمريكية.

أولا: اليونسكو:

في عام ١٤٠٧ للهجرة صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية (اليونسكو) ما سُمي (الخطة الشاملة للثقافة العربية)، وهذا بناء على توصيات مؤتمر وزراء العرب الثاني، وكان تحت شعار (نحو استراتيجية للثقافة العربية)، تشكلت اللجنة من مجموعة من الأسماء أغلبهم من التوجه الحداثي الذي لا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بثقافة الأمة، ومنهم:

الطيب صالح (روائي سوداني)، عبد العزيز المقالح (شاعر يمني)، عبد الكريم غلاب، شاكر مصطفى وزير الثقافة السوري.

وزعت الدعوات على (٦٠٠) مفكر، لم يكن من بينهم (مثقف إسلامي) يحمل هَمَّ الشريحة الأكبر من هذه البلاد المسلمة.

عن ماذا أسفر اللقاء؟

عن اختيار (محمد أركون) المفكر الجزائري، وحسن حنفي المفكر المصري.

(محمد أركون) هو صاحب الكتابات التي تسعى لنزع القداسة عن القرآن، ويرنو لإعادة تأويل أصول العقيدة. و(حسن حنفي) الذي يزعم أن الإسلام دين علماني في جوهره.

بعد ثمان سنوات من الجهود رفعت تقارير إلى الوزراء العرب، لتكون تلك الإستراتيجية محل تنفيذ لتسير بخطى واثقة، وتعهدت الدول الأعضاء الالتزام بها.

استراتيجية شاملة يشرف على أعمالها رموز معادية للطرح الإسلامي، كيف ستكون نتائج عملها!!

هذا العمل المؤسساتي والتنادي العام حول تجديد التغريب عبر مؤسسات كان يجدر بها أن تتولى تصفية ثقافة الأمة من لوثة الاغتراب لا العكس.

هيئة عالمية وأممية تتصدر المشهد الثقافي، وتريد صبغ المشهد الثقافي بصبغة واحدة، وفي نفس الوقت تنادي بالتعددية الثقافية!!! في كل معارك إثبات الهوية تنصرف كل أمة نحو أصولها وجذورها، وتعلن حالة من التعبئة الثقافية لكي تتمايز عن غيرها ولكي تنفرد عن مثيلاتها من الثقافات، لكن في ثقافتنا يحدث العكس.

يكشف (جمال سلطان) عن عدة حقائق في أطروحات مشروع اليونسكو وعن مدى التغلغل والاختراق في مشاعر وأحاسيس مثقفي اليونسكو، فهم قد وقفوا أمام التراث وتعاملوا معه على أنه حطام زائد يسلب عنه التقديس:

الحقيقة الأولى - أن المنظمة لا تمثل الشعوب العربية، وإنما هي أداة لممارسة القهر الفكري و(غسيل المخ).

الحقيقة الثانية - أن هناك تنظيمًا سريًا فكريًا يفرض وجوده على المستويات العربية العليا، بما يضمن عدم نفاذ تيارات فكرية أخرى إلى مجال التوجيه الثقافي.

الحقيقة الثالثة - هناك دوائر ثقافية عديدة تدرك حقيقة هذا التآمر، ولكن لا تتم المواجهة الصريحة لكشف المخبوء، ومن ذلك محاولة المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة تكوين لجان خاصة لوضع مشروع مماثل يمثل حقيقة الثقافة العربية الإسلامية[١].

الحركات النسوية:

في إحدى الندوات التي أقامتها إحدى الجمعيات النسوية في القاهرة، وجه أحد الحاضرين سؤالا إلى رئيسة الجمعية:

لماذا استشرى الإهمال في جميع أقسام المستشفيات الحكومية عدا قسم تنظيم النسل؟! (ومعلوم أن هذا القسم يلقى دعما أمريكيًا بعد مؤتمر السكان الذي انعقد في مصر).

قالت: إن أمريكا تهتم بنا وتخاف علينا من زيادة السكان وما يترتب عليها من مشاكل، ولأننا أصبحنا في زمن العولمة، وأي مشكلة ستحدث هنا ستؤثر على أمريكا.

---

(١) «الغارة على التراث» جمال سلطان، ص١٤٠.

الحركات النسوية العربية بعد مؤتمري بكين والقاهرة انتشرت بشكل ملحوظ، وزادت فاعلية أنشطتها، وهذه الحركات النسوية العربية هي فرع تابع للحركات الغربية ولا تخجل إطلاقًا من إعلان هذه التبعية المفرطة، خاصة بعد استحواذ وسيطرة الحركة النسوية على لجنة المرأة في الأمم المتحدة، وباتت قراراتها محل عناية في الاتفاقات الدولية وأصبحت أهدافها بمثابة بروتوكول تعاقب عليه الدول التي لا تقوم بالانصياع لتلك القرارات المنسجمة مع الروح النسوية العالمية.

الحركات النسوية العربية هي جهد مؤسسي يلقى ترحابا بالغا من القرار السياسي وغض الطرف عن أنشطتها الموالية للغرب، مع أنها تعمل على:

١- نشر الانحلال الخلقي.
٢- معاداة الدين والهوية.
٣- تحريض الناس على المجتمع.
٤- الدعوة إلى علمنة المجتمع.
٥- تنفيذ أجندة غربية.

رموز الحركات النسوية أثناء سيرهم الحثيث لتحقيق أهدافهم تخلو عن (ربطة عنق قاسم أمين) الموغلة في القدم!! قاسم أمين بات بالنسبة لحالهم التقدمي رجلًا رجعيًا محافظًا.

قاسم أمين صاحب كتاب (تحرير المرأة) الذي صرح أولا بأنه لا يميل إلى تقليد الغرب في عوائده وأطواره ويقر باحترام الإسلام!! تخلى عن هذه اللغة المهادنة في كتابه الثاني (المرأة الجديدة) وجعل يضرب المثل بالأوربيين ويبشر بتقليدهم.

هذا التحول المفاجئ جاء بعد عدد من الردود القوية على كتابه، لكن (ألبرت حوراني) يصف هذا التحول بقوله:

(كأنما انهارت تحت صدمة الغضب واجهة البنيان الإسلامي فظهر بنيان فكري مختلف تمام الاختلاف، لم يعد يستند إلى نصوص القرآن والشريعة)[1].

قاسم أمين هو صاحب أول سهم أصاب جسد الفضيلة، وكان طرفًا ثابتًا في نزاعات تحرير المرأة، ولكن بعد ذلك تحول فكر قاسم أمين إلى مشروع تبنته (جمعية هدى شعراوي) وعضده سعد زغلول! لم يعد مشروعا يملكه قاسم أمين الذي اعترف آخر حياته (بأن كل ما وُجد في مصر من الحرية لم يوجد إلا بتدخل أجنبي)[2].

---

(١) «الفكر العربي في عصر النهضة» تأليف: ألبرت حوراني ص١٧٥.
(٢) «من النهضة إلى الردّة» للمفكر/ جورج طرابيشي ص٣٢.

هـذا الاعتراف المتأخر جدًا لم يسـعف قاسـم أميـن، ولـم يبرئ سـاحته، ولـم يستطع هو إيقافه؛ فقد تحول إلى عمل مؤسسي أكبر من قاسم نفسه.

ستار أكاديمي:

المنظومـة الإعلامية يغلب على نتاجها الطابع الهدمي للقيم ولا تتورع في البوح والمجاهرة بهذا الميل، بل وتتفنن كل يوم في كشـف كل ما يرسخ المفاهيم الهدمية في الذاكرة المسلمة.

الانفجار الإعلامي والتسـابق المذهل والمحمـوم نحو الفضاء تـم بعد حرب الخليج الأولى، وذلك بإنشـاء قنوات ذات (رسـاميل) وتكاليف عالية، أغلبها ذات تمويل خليجي.

لا بد أن يكون لهذا المشـروع الضخم أثر ملحوظ على إحداث تحـولات فـي قيم المتابـع العربي، البدايـات خلت تمامًـا من قنوات إسـلامية محافظة، بينما طغت وبشـكل لافت قنوات الفساد والرقص وتدنيس القيم وتسليع المرأة.

ولتعـرف مدى انبهـار المتابع بهـذه النقلة المثيرة تأمـل ما كتبته الباحثـة (ثريـا جعيبـس) المتخصصـة فـي مجـال الإعلام فـي كتابها (التلفزيونات الفضائية العربية)، تقول:

(كانت محطة المستقبل تصنف على أنها قناة مسلمة سنية، بينما محطة (ل بي سي) تعتبر مسيحية مارونية، لكن محطة (ل بي سي) المسيحية هي المحطة الجاذبة للمشاهدين السعوديين، وترجع شعبيتها إلى حضور الصبايا الجميلات مقدمات البرامج)!!.

هذا الاختيار المبني على دوافع شهوانية يعبر وبجلاء على مدى تزحزح القيم لدى المشاهد وعن عملية نسف للحواجز الأخلاقية لإرضاء الغريزة.

في عام ٢٠٠٣ ميلاديا أعلنت محطة المستقبل اللبنانية عن ختام برنامجها (سوبر ستار)، وهو برنامج منافسة غنائية بين مغنيات ومغنين، وامتد لعدة أسابيع، وبلغ عدد المتابعين له من دولة واحدة كمصر (٢٣) مليون متابع، ومجمل عدد الأصوات في الأقطار العربية (٧٩) مليون صوت.

وعندما أعلنت النتيجة عن فوز المتسابقة الأردنية دوت طلقات الرصاص في شوارع عمان ابتهاجًا بالفوز، وانهمرت الدموع، واتصل ملك الأردن وزوجته لتهنئة المتسابقة!

هذا المشروع التغريبي تباركت سيرته في الأعوام اللاحقة وجعل يستحوذ على اهتمام المتابع، وتفوق في استثمار عناصر التأثير، وهنا تجد شروط نجاح المشروع التغريبي قد اكتملت أركانه:

١- مباركة سياسية من أعلى سلطة.

٢- دعم شعبي ضخم وصل إلى (٧٠) مليون صوت.

٣- عمل مؤسساتي.

٤- وجود نخبة تسوق له وتزعم أنه دعوة للبحث عن مبدعين جدد، ووصف تلك اللحظات أنها لحظات (بانورامية) أيقظت في الناس الحرص على بعث الفن الأصيل.

الهيئة المصرية العامة للكتاب:

ومركزها القاهرة، وتتبع وزارة الثقافة المصرية، وتعمل على تكثيف جهدها الثقافي لصبغ المشهد الثقافي المصري خاصة والعربي عامة بصبغة تغريبية واضحة، والانتصار للقيم الليبرالية، ومناهضة المد الإسلامي، وتمثل ذلك في مشروع ضخم أسموه: (مائة عام من التنوير)، وهو إصدار سلسلة لشخصيات فكرية ليبرالية وتنويرية مثل: طه حسين، وسعد زغلول، وسلامة موسى، وحشد آلاتها الإعلامية لتصوير أن العصر الحالي هو عصر الاستنارة، لدرجة أنهم جعلوا الكتب تُباع بأسعار رمزية جدًا (٢٥ قرشًا)، والمشروع يجد دعمًا وعناية من (سوزان مبارك) زوجة الرئيس المصري السابق حسني مبارك.

هنا تكتمل أضلاع المشروع التغريبي.

١- دعم سياسي لافت.

٢- دعم النخبة المثقفة وسعيهم للنشر تحت اسم الهيئة.

٣- وجود شريحة كبيرة من القراء.

٤- العمل المؤسساتي.

مدونة الأحوال الشخصية:

هي مجموعة قوانين اجتماعية صدرت في تونس عام ١٩٦٥م على يد (بورقيبة)، وتم فيها سن قوانين تحوي تصورات مناهضة للرؤية الإسلامية، من أبرزها: سحب القوامة من الرجل، المساواة التامة بين الرجل والمرأة، جعل الطلاق بيد المحكمة، منع التعدد.

مشروع (بورقيبة) سعى إلى اقتلاع الهيكلة الاجتماعية والثقافية ذات السمت الإسلامي، وإخفائها للصوت الليبرالي المتطرف.

بورقيبة قوض المحاكم الشرعية، وألغى التعليم الزيتوني، وأمر بإلغاء نظام الوقف، وسعى بتهور إلى (فرنسة) تونس.

المدونة ما زالت محل تفاخر في الأروقة التغريبية ومحل حرص على عدم إضاعة هذا المكتسب الثمين، والتي على إثرها قد يتناسى المثقف التونسي كل خطايا المستبد (بورقيبة) وفي مقابل حسنته

الوحيـدة، والفرح بهـذا المنجز واعتباره بمثابة قفـزة بالحلم الليبرالي إلى الأمام.

تقـول المثقفة العلمانية رجاء سـلامة: (ما زلنا نحبك يا بورقيبة، سـامحناك. . سـامحناك. . وبكينـاك لأنـك أزحـت عـن نسـاء تونس كوابيس الطلاق والتعدد)[1].

بينمـا يرى مثقـف آخر هو (المنصف المرزوقـي)[2] أن لبورقيبة فضلا ومِنَّة على المجتمع التونسـي خاصة في مشروع مدونة الأحوال الشخصية.

بينمـا تعتـرض شـخصية إسـلامية مثل (راشـد الغنوشـي) على مضامين تلك المدونة، ويبين أنه من خلال النظر الواقعي في تداعيات العمـل بهـذه الوثيقة أنهـا تدعو إلـى تدميـر القديم والتمـرد على قيم الإسـلام، يقول: (هناك قانـون يُعرف بالمنشـور (١٠٨) قَلَّ نظيره في العالم الإسـلامي يمنع المـرأة من حقها أن تختار لباسـها، ومن نتائج هـذا القانـون أن آلاف النسـاء تعرضـن للحرمان من التعليم والشـغل والتـداوي)، ثم يتسـاءل: (هل هذا يحقق الحداثة؟ إنـه التزام متطرف ببعض مفاهيم الحداثة في منظرها الفرنسي)[3].

---

(١) «المرأة والمشروع الحديث» رجاء سلامة ص٦.

(٢) «من مقال منشور على الشبكة العنكبوتية».

(٣) «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني» للشيخ/ راشد الغنوشي ص١٢٥.

الجامعة الأمريكية:

اللهث خلف إنشاء شرخ بين التعليم الديني والتعليم العصري كان مطمحا تغريبيا قديما، لما للتعليم من قدرة توصيلية هائلة للمبادئ التغريبية ولترسيخها.

من الأساليب التغريبية التي حرص عليها الاستعمار التفريق بين تعليم ديني يظل يذوي ويضعف ويظل منزويًا على نفسه، محرومًا من كافة الموارد المالية التي تكفل جودة التعليم واستثمار الفرص الملائمة والمحافظة على أصالة الفكرة، وبين تعليم عصري يستحوذ على اهتمام الطبقة الحاكمة ويستولي على الامتيازات التي تؤهله للتفوق وإحراز نجاحات باهرة.

يخبرنا الأديب المحقق (محمود شاكر) - رحمه الله تعالى - أن أول من عكف على إيجاد هذه الفجوة بين النمطين من التعليم هو (رفاعة الطهطاوي)، وذلك بعد عودته من بعثته، حيث أنشأ (مدرسة الألسن) التي تعلم الثقافة العصرية واللغات الأجنبية للناشئة، يقول: (وكذلك أحدث رفاعة صدعًا مبينًا في ثقافة الأمة وقسمها إلى شطرين متباينين: (الأزهر) في ناحية، و(مدرسة الألسن) في ناحية أخرى. . وصار الأزهر أسيرًا يرسف في أصفاده منتبذا ناحية ولا يدخله إلا أبناء الفقراء والمساكين، ونازعته المدارس الجديدة، وانشطر التعليم إلى

شطرين، ونمت هذه المدارس وتكاثرت، ودخلها أبناء الموسرين، وجعلت الهوة بين الأزهر والألسن تتسع)[1].

هذا النمط من التعليم العصري يُحدث عند المتلقي حالة من الاعتراض والإنكار والازدراء لثقافته الأصلية، ويستولي عليه حالة من الانبهار والاندهاش صوب الثقافة الجديدة.

مشروع الجامعة الأمريكية يمثل مرحلة جديدة من هذا الصراع بين النمطين، تأسست الجامعة الأمريكية عام ١٩١٩م، وفروعها انتشرت في: القاهرة، دبي، الشارقة، بيروت، الكويت.

يعترف موقعها الإلكتروني أنها تعمل على ترسيخ المناهج الليبرالية وتدريسها للطلبة.

أصول فكرة تلك الجامعة يعود إلى قيادات إرساليات التبشير الديني، التي كانت تمارس نشاطها التبشيري في القرن التاسع عشر، ولقد لعبت هذه الإرساليات دورًا كبيرًا في تثبيت أركان الاستعمار.

وأهم ثلاثة أهداف لهذه الجامعة:

١- خلق طبقة من الشرائح الاجتماعية المهيمنة على مفاصل الدولة الحديثة.

(١) «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» محمود شاكر، ص٢٦.

٢- نشر القيم الغربية.

٣- خلق حالة من الألفة والإعجاب بالنمط الأمريكي في التعليم مما يسهل التبعية له.

بل يذهب بعض الباحثين إلى أن للجامعة مصالح غير معلنة لا تكشف عنها، بل اكتُشِف أن رئيسا سابقًا للجامعة كان عميلا للمخابرات الأمريكية! !

مراوغة المثقف التغريبي إزاء محاولات الغرب السيطرة والاختراق الثقافي:

يُحاول المثقف التغريبي المراوغة والتدليس وطمس الحقائق أمام محاولات الغرب العلماني اختراق وتهديد الخصوصية الإسلامية، فيجنح التغريبيون لعدة دعاوى:

١- **يدَّعون** أن الغرب ليس عدوا للإسلام، ويحاولون إثبات ذلك بتصريحات سياسيين ومثقفين غربيين، وكذلك بالسماح لانتشار الإسلام والمراكز الإسلامية في الغرب.

٢- **يدَّعون** أن الغرب له الحق في الحفاظ على مصالحه في المنطقة، وذلك لن يكون دون وجود تأثير ثقافي ينسجم مع الثقافة الغربية حتى تتوافق الرؤى والقيم.

٣- **يدَّعـون** وجـود جماعـات متطرفـة (إرهابية)؛ تهدد السـلم العالمي وتنتشـر في البلاد الإسـلامية، وأهم طريقة في تجفيف منابع الإرهاب هي نشر الثقافة الليبرالية.

٤- **دعـوى** أن الغرب ليس له منطلقات دينية عقائدية! بل ينطلق من منطلقات سياسية لا دينية.

٥- **مـاذا لديكم ليأخذه الغـرب؟!** هذا سـؤال اعتباطي يحرص البعض على إثارته والتمسك به مع كل محاولة لإدانة الغرب.

٦- اتهام الإسلاميين بعقدة المؤامرة.

لماذا الاهتمام الغربي المتزايد بالترويج للتغريب؟

فـي بدايـة الحقبـة الاسـتعمارية كانـت المعركة العسـكرية هي الأصل، وعليها تعلقت الآمال والأهداف، لكن في السنوات المتأخرة تحولـت المعركة إلـى معركة قيم ومبادئ، وتأخـرت حالات الصراع العسكري؛ وذلك لعدة أسباب:

١- لأننـا بتنـا فـي عصـر الانفجـار الفضائـي والإلكترونـي، فأصبحت العملية التواصلية سهلة جدًا بين الثقافات، وبالتالي سهلت عملية الغزو القيمي من الغرب للثقافات الأخرى.

٢- لوجود حكومات سياسـية عميلة، تسـاهم فـي ضرب القيم وإنعاش الثقافة الغربية في بلدانها.

٣- الدول الإسـلامية ضعيفة اقتصاديًا وعسـكريًا، ورأس مالها الحقيقي هو القيم التي تملكها، لذا وجب إزالتها.

٤- وجود مثقفين مجندين لخدمة المآرب الغربية.

خارطة القيم:

تتكون المباحث الفكرية عموما من ثلاثة مباحث:

(أ) الوجود.

(ب) نظرية المعرفة.

(ج) القيم.

القيم: تتحدث عن ثلاث قيم أساسية هي:

(أ) قيم الحق؛ ومن ضمنها العقائد.

(ب) قيم الخير؛ ومن ضمنها الأخلاق.

(ج) قيم الجمال؛ وهي الآداب والفنون.

ومنهم من يقسمها إلى:

(أ) قيم إسلامية.

(ب) قيم عرفية.

(ج) قيم وافدة.

وهناك من يتوسع فيذكر:

قيما اعتقادية، قيما معرفية، قيما أسرية، قيما إعلامية، قيما حقوقية، قيما اقتصادية.

مكونات القيم:

١- **مكون معرفي:** ومعياره القدرة على فحص الخيارات واختيار الأجود.

٢- **مكون وجداني:** وهو الاعتزاز بذلك الاختيار.

٣- **مكون سلوكي:** ويشمل الممارسة الفعلية والتخلق بتلك القيمة.

مصادر القيم:

١- الدين.

٢- التراث.

٣- التفاعل الاجتماعي.

٤- الثقافة الوافدة.

خصائص القيم الإسلامية:

١- ربانية المصدر.

٢- الثبات.

٣- الشمول.

٤- التوازن.

٥- الواقعية.

٦- تقوم على التوحيد.

٧- الاستمرارية.

٨- التسامح.

٩- لا تتعارض مع العلم.

القيم من وجهة نظر العلمانيين:

القيم عند العلمانيين تقوم على مبدأ «الحرية»؛ فكل فرد تكفل له الحرية القيام بأي شيء يحقق أهدافه بغض النظر عن الاعتراضات على ما يقوم به من أفعال.

أما الجائز وغير الجائز فيتم تحديده من خلال مبدأ «القيم»، وهذا المبدأ له عدة ركائز أو خصائص:

أولًا - النسبية المكانية للقيم: لما كان لكل ثقافة معاييرها الخاصة بها، فإن «المرغوب فيه» يختلف تبعًا لذلك من ثقافة إلى ثقافة، ومن ثم تختلف القيم من ثقافة إلى ثقافة.

معلوم أن العلمانية تطرح لنا الثقافة الغربية بكل ما فيها من مضامين، ومن ثم الحلال والحرام عندهم بمنظور الثقافة الغربية بمعنى لا قيمة له، فما هو الواقع؟ الإجابة يقدمها د. إبراهيم الخولي الذي يقول:

«المجتمع العلماني نفض يده من الالتزام بحلال أو حرام نفضًا كاملا من نقطة البدء الأولى على مستوى النظم والشعوب السابق في كتابه (الانهيار): «نحن أصبحنا مجتمع إباحة الاستباحة، الفرد في الولايات المتحدة استباح كل شيء، ولم يعد في قاموسه كلمة حرام أو محرم، بهذا لا تستقيم حضارة ولا تستمر، السفينة كلها تغرق ولا يملك أحد إنقاذها! وإنقاذها مرهون بالعودة إلى الدين والأخلاق!

ثانيًا - النسبية الزمانية للقيم: «أي أنها تختلف وتتغير في المجتمع الواحد بما يطرأ على نظمه من تطور وتغير، وهي في تطورها وتغيرها تخضع للمناسبات الاجتماعية في التاريخ كما تخضع لظروف الوسط الثقافي الذي توجد فيه».

إطلاق خاصية النسبية الزمانية بهذه الصورة يوضح سبب تقدير الاتجاه العلماني للنظرية الداروينية، كما أن الخاصية تمكن أصحاب هذا الاتجاه من وصف القيم الإسلامية بأنها غير صالحة لمواكبة

التطورات؛ وعليه - كما يرون - فإن مدة صلاحيتها انتهت ويجب استبدالها بقيم جديدة صالحة لملابسات الحقبة.

ثالثًا - صلاحية القيم: «إن كل ما تصطلح الثقافة على أنه خير يخضع دائمًا في اختياره إلى مبلغ فائدته الاجتماعية لهذه الثقافة بالذات؛ فالقيم تكون صالحة أو فاسدة تبعًا لدرجة قدرتها أو عدم قدرتها على إشباع الحاجات الأساسية - البيولوجية والاجتماعية - للناس في الثقافة المعينة»[1].

* * *

(١) الهيثم زعفان.

مداخل تقليدية.

- ملف تحرير المرأة.
- نقد المناهج التعليمية.
- الرواية.
- الإعلام.
- الفجور السياسي.

«نساء النفط»

إلى متى تستمر النساء في بلادي باتشاح السواد؟!! (كاتبة سعودية)

المرأة:

ذكر وديع فلسطين في كتابه (مع أعلام عصره) أن (نقولا أنطون) - وهو مثقف علماني مسيحي، أنه في مرحلة مبكرة من بدايات افتعال معركة تحرير المرأة دعا إلى أن ينقسم النساء إلى فريقين؛ فريق يكتفي بالإنجاب ورعاية الزوج والأبناء، وفريق آخر من النساء يصبحن عقيمات طول عمرهن، حتى يستطعن مشاركة الرجل في العمل في الدوائر الحكومية.

هذا الصوت المبكر والمتجاوز لسقف المطالب التغريبية يمدك بانطباع معين عن إلى أي حد يناضل هذا الفريق للدفاع عن قضيته ولو كان على حساب أن يظل نصف النساء عقيمات.

معركة تحرير المرأة شرعت منذ البدء في قفزات عالية في زمن قياسي، مدعومة سياسيًا وثقافيًا وشعبيًا في بعض المناطق، وفي كل جولة من جولات هذه المعركة المستديمة تجد أن روادها يكشفون عن مطالب جديدة، في حين تتوارى مطالبهم القديمة بعد أن حازوا عليها.

إذن. . هم في سعي حثيث للوصول بمشروعهم النسوي إلى أبعد نقطة يسمح لهم بنصب رايتهم على القمم المسلمة، المثقف التغريبي يكثر في حواراته من مفردة (المرأة) أكثر من مفردة (الإصلاح، التنمية، الاستقلال)، بل يكشف بعضهم أنه لا تحرر على الحقيقة للأوطان إلا بتحرر المرأة.

ويذهب آخرون إلى أن قياس التطرف الديني في بلد يُعرف بمقدار حرمان المرأة من حقوقها.

حركة تحرير المرأة لا شك أنها تسير في منحنى لا عقلاني، وتندفع بتهور في مطالب تتعارض مع النسيج العام للنظام الإسلامي، وحتى تتأكد من هذا تجد أن رمزا جليلا في المنظومة النسوية كـ «نوال السعداوي» لا تتوقف عن الضجر والتبرم من مسار الحركة النسوية في مصر مثلا، ويرجع هذا البطء في نظرها إلى عوائق عدة؛ فتارة يرجع إلى الإسلام السياسي ووقوفه ومعارضته الدائمة للنشاط التحرري النسوي، وتارة ترجعه إلى النظام الرأسمالي الليبرالي الذي بدأ يصبغ الحياة المصرية، مع أن هذين العائقين متناقضان تمامًا، لكنها اللاعقلانية الجديدة في الفكر النسوي المعاصر[1].

وفي بلد آخر كالمغرب تجد هناك أن الفكر التحرري يُناضل

---

(١) «من حوارها مع هبة رؤوف عزت».

عن حقوق المرأة تحت غطاء سياسي ودولي مما يجعله أكثر جراءة في رفع سقف مطالبه، ففي وقت مضى كانوا يتحدثون عن إشكالية تأويل النصوص الشرعية للتوافق مع المطالب التحررية العالمية، لكنهم الآن يتحدثون عن تجاوز تلك النصوص واستبدالها بمقررات الحقوق الدولية، إذن. . أنت أمام عملية تدويل للمسألة النسوية.

عملية تحرير المرأة كانت تبحث في بدء الأمر عن امرأة لها شخصية تستقل عن سلطة الرجل، لكنها الآن باتت تبحث عن صناعة رجل يخضع لسطوة (المرأة الجديدة).

ومن تناقضات الفكر التحرري النسوي أن المثقف التغريبي يثرب على الإسلام عدم تحريمه لتجارة الرق، لكنه هو ذاته يمارس ولا يتورع عن مساندة (تجارة الجسد) في الفضاء المكشوف بدعوى الحرية، فالمثقف التغريبي يزعم أن الحداثة حررت العقل والجسد، حررت العقل من أوهام الكنيسة وحررت الجسد من كبت العيب الاجتماعي والقيد الأخلاقي.

يقول المفكر الإسلامي محمد يتيم:

(اليوم هنالك من أطلق حملة منسقة على القيم من خلال دعم سياسيات ومهرجانات ومسابقات (تحرير الجسد)، والعمل على تعبئة الموارد الحكومية ودعم جهات نافذة باعتبار أنه لا وقوف

لمظاهر الغلو والتطرف إلا من خلال «تحرير الجسد»)[١].

إذن. . تحولنا من تحرير المرأة إلى تحرير جسد المرأة، ومن دعوى أن الإسلام لا يمانع من تحرير المرأة إلى جعل جوهر عملية تحرير المرأة علاجًا مناسبا ومفيدا في تجفيف منابع التطرف الإسلامي.

وحتى تتضح لديك صورة استغلال المثقف التغريبي لتحرير الجسد سأذكر لك مثالين؛ أحدهما من الوسط الفكري، والآخر من الوسط الإعلامي، لتبصر كيفية تسليع المرأة في الفكر التغريبي المنحرف.

١- **المثال الأول**: (علي حرب) المثقف اللبناني في كتابه (خطاب الهوية)، عندما سُئل عن أفضل برامج التلفاز التي يُتابعها ذكر أنها مباريات ملكات الجمال وعروض الأزياء ولعبة كرة المضرب للنساء، وكيف تستثيره اللاعبة وهي ترفع تنورتها لكي تثبت الكرة فينحسر الثوب القصير إلى أعلى الفخذ[٢]!!! هذه هي المرأة في تصور الرجل التغريبي، وهكذا يتخذها لتلعب دورا شهوانيا في حياته.

---

(١) «نظرية الإصلاح الثقافي» محمد يتيم، ص٢١٠.

(٢) «خطاب الهوية» علي حرب ص٢١٢.

٢- **المثال الآخر**: من الوسط الإعلامي المخرجة (إيناس الدغيدي)، مخرجة جريئة في اقتحام (التابو) النسائي، ومخرجة مثيرة للجدل في مصر، لا تتأخر عن تصوير المرأة في مشاهد عري ومشاهد ساخنة جدًا، وتستخدم هذا الدور المخزي في تحقيق إيرادات مالية هائلة، وحصلت على جوائز عالمية، ودارت حولها شكوك حول علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية حتى لُقِّبت: (مخرجة الثقافة الأمريكية)، واتهمت بالعمالة لتلك الدولة[١]، وفي سبيل هذا الوهج والمجد فلتسحق القيم والمبادئ.

تحررت البقعة العربية من الجسد العسكري الغربي العفن، لكن ذرات من غبار ذلك التحرر أصابت جسد المرأة العربية، فما أن انتهت معركة إلا وبدأت معركة ما زالت تترادف أمواجها ويسقط في كل يوم لها صريع.

المرأة المسلمة كانت في عين الغرب المترصدة هي الموضع الضعيف التحصين الذي ينبغي استثماره في المعركة الثقافية القادمة تبعًا لوصية (لويس التاسع).

كثيرة هي الأسماء الذكورية التي ازدحمت في ذاكرة هذه المعركة، لكن قاسم أمين سيظل الأبرز، وما يهمني هنا هو حديث لزوجة قاسم

---

(١) «الصورة والجسد» محمد حسام الدين، ص ٢١٩.

أميـن ذكره الأديب أحمد حسـن الزيـات في (وحي الرسـالة)، حيث جعلـت ترثي حـال المـرأة المصريـة وتقول: (لـو كان زوجي قاسـم أميـن يعلم أن هذا هو مآل دعوته لتحرير المرأة لما حمل شـعلتها منذ البدء)[1].

إذن. . دعونـا لا نتوقـف عنـد البدايـات ولنقفز بمهارة وسـرعة نحـو طرف النهايات من هذه المعركة التي حشـد لها الخصوم العديد من الرايات وتوسـلوا بالكثير من الوسـائل، عندهـا لن نجد إلا صورة موجعة ومفجعة أيضًا لمظاهر التحلل والتفكك لتلك المرأة.

المثقف التغريبي الذي يقف بكل دهاء وخبث خلف تلك المرأة يرفع شـعارات: (حق المرأة)، (إعادة الأمل للمـرأة)، (التنمية معطلة دون المرأة)، (لا تغيير على الحقيقة دون المرور عبر بوابة المرأة)!!!

يذكر الأستاذ عبد الله الداوود خطوات المنهج العلماني لإفساد المرأة:

(أ) التطبيـع، الاختـلاط، إظهار اللباس العـاري على أنه رقي، إبراز الفنانات على أنهن قدوات، تعظيم الغربيات، تحسـين العلاقات المحرمة.

---

(١) «وحي الرسالة» (٤/ ٢٤) لأحمد بن حسن الزيات.

(ب) استغلال الدين، الاستدلال بالأقوال الشاذة، ادعاؤهم فهم الدين.

(ت) احتواء الأقلام النسائية.

(ث) التشكيك في الحجاب[1].

ومن مآلات عملية التحرير المزعومة أنها تحولت من إقامة مساواة عادلة بين الرجل والمرأة فقفزت إلى محاولات جادة لصناعة رجل أليف لا يقاوم سلطة المرأة حتى وصلنا إلى مرحلة متقدمة وهي صناعة امرأة تحطم وتقضي على شخصية الرجل.

وتمثل الرؤية الأخيرة تيارات نسوية؛ وهي تيارات لها تواجد في الوطن الغربي والعربي كذلك، وتتسم بقدر من الشراسة في طرح رؤيتها حول علاقة الرجل بالمرأة.

تقول نوال السعداوي في حق المرأة السعودية: (في السعودية أكثر من ثلاثة آلاف امرأة يقمن بإدارة أعمالهن الاقتصادية من خلال الإنترنت، إلا أنها مجرد البداية أو حركة نحو انعتاق النساء السعوديات من تحت خيمة العبادة والعبودية)[2].

لكن هذا الانعتاق من عبودية الزوج لا ينقلها إلى مرحلة أخرى آمنة، ولكن لتكون (مجرد نواة تسويق لمنتجات لا شأن لها بها،

---

(١) «هل يكذب التاريخ؟» لعبد الله الداوود، ص١٨١

(٢) «حوارات لقرن جديد» ص١٢٢.

كالسيارات والإلكترونيات)[1]. . كما تقول نورة السعد.

هو إذن خروج من بيت طاعة الزوج إلى بيت طاعة السوق والخضوع لشروطه والاستجابة لمطالبه ومغرياته. قوامة الزوج وشرط المحرم وسلطة الأب؛ كل هذه المعاني تحولت تحت الآلة التغريبية إلى أشياء قبيحة وسلطوية وحواجز وعوائق، وتعتبر من أشكال التمييز بين الجنسين، ولابد من تصفية الذاكرة النسوية منها.

من القيم النبيلة قيمة الصدق وموافقة قول الإنسان لسلوكه وفعله، ومن التشوهات التي نالت تلك القيمة رفع شعارات دينية ومحافظة كلافتة من باب إعلان حسن النوايا، بينما لسان الواقع يؤكد مخالفة تلك الشعارات المكتوبة.

تقول إحداهن: (حان الوقت للبدء في العمل لتعليم أخواتنا السعوديات، بينما نحافظ على هويتنا الإسلامية).

بينما تشاهدها في الصحف كاشفة الشعر والوجه دون الحد الأدنى من الحجاب المتفق عليه بين الفقهاء.

وتقول أخرى بـ (أن مساواة الرجل والمرأة وحق كل منهما أمر نَصَّتْ عليه الشريعة).

(١) «الإسلاميون: سجال الهوية والنهضة» نواف القديمي، ص٢٧١.

ومصطلح المساواة لم يرد في النص الشرعي إطلاقًا، مما يعكس حقيقة إغواء القارئ ومحاولة تضليله بمفاهيم شرعية بناء على أن المجتمع السعودي لن يقبل بإعلان القطعية الحادة مع الدين، وإنما بإعادة تطويعه لنيل مكتسبات تغريبية.

يقول الدكتور (سيس مور): (تقع السعودية في مقدمة المجتمعات المسلمة المستهدفة، وقد نصبت في الغرب رمزًا مطلقًا للتخلف، فالسعودية في نظر الغرب بلد مضطهد للنساء وحقوقهن عدو للحريات الشخصية)[1].

لكي لا تربكك عبارات مثل (الاضطهاد، والتمييز، والتخلف، والقمع ضد المرأة) ما عليك سوى النظر في المرجعية الثقافية لمن يتفوه بمثل هذه العبارات، وبمعنى آخر: ابحث عن مكانة المرأة في ثقافة ذلك الرجل المتسخط من وضع المرأة المسلمة، عندها ستعرف النية المضمرة التي تستتر خلف الأحرف الفارغة. سئل علي حرب: ما هي البرامج التي تُتابعها؟

فأجاب دون خجل: (أتابع مباريات ملكات الجمال، وعروض الأزياء، ويدهشني رقص النساء على الجليد)[2]!!.

---

(١) كتاب «المرأة السعودية رؤى عالمية» ص٦٣.

(٢) «خطاب الهوية» علي حرب.

هنا سيتحقق لك من هو المتهم بتحويل المرأة إلى مفهوم جسدي وكائن مشتهى وسلعة للاستمتاع، يقول فريد الأنصاري عن ظاهرة التعري في الغرب: (ما هي إلا امتداد طبيعي للانتماء الحضاري اليوناني، فهي تحمل في طياتها تقديس الشهوات وعبادة الملذات، وبذلك صار للجسم سلطة كبيرة في بناء التصورات)[1]، تفسير عميق وواع لثقافة التعري والتوظيف الإعلامي لجسد المرأة التي وقع في فخها المثقف التغريبي.

* * *

(١) «مقال في مجلة البيان» عدد ١٥٤.

«صون العلمانية وتجريم الحجاب»

«في الحادي عشر من ديسمبر ٢٠٠٣م تقدمت لجنة فرنسية بتقرير حول مصطلح صار يسمى (صون العلمانية)، وهو قانون سببه لباس المسلمات الفرنسيات والمهاجرات للحجاب الديني، وتمثلهن لهذا الحجاب في المدارس وغيرها من مؤسسات المجتمع.

اللجنة التي أقرت قانون (صون العلمانية) شارك فيها وزير وعشرون عضوا وُصِفوا بالحكَماء، رأت أن العلمانية قانون فرنسي منذ عام ١٩٠٥م حيث يؤكد على فصل الدين والدولة، ورأت أن العلامات الدينية تهدد فكرة العلمانية في فرنسا، وخصت الحجاب وعددا من العلامات الدينية كالصلبان، ولكن اللجنة لم تتوقف كثيرًا عند مسألة الصلبان ولم تشدد في أمرها عكس الحجاب باعتبار أنه حضر مع المسلمين المهاجرين الذين يتزايد عددهم»[1].

هذا القانون أحدث دويًا واسعًا في الفضاء الثقافي باعتباره منعًا وسلبًا لحق مشروع وعنصرية سافرة وحيلة للوقوف أمام معالم مد إسلامي جديد يكسو الحياة الفرنسية، ماذا كان موقف أغلبية المثقفين ذوي النكهة التغريبية؟

---

(١) «الثقافة التلفزيونية» عبد الله الغذامي، ص١٥٥.

إمـا امتثـال الصمـت، أو الوقـوف بوقاحـة مـع الغلـو العلماني الفرنسي، أو البحث عن تعليل ساذج ودون خجل أو مروءة.

يقـول أدونيـس: (لا بـد أن يعرف المسـلمون الذين يتمسـكون بالحجـاب أن تمسـكهم هـذا يعنـي أنهـم لا يحترمون مشـاعر الناس الذين يعيشـون معهم في وطن واحد ولا يؤمنون بقيمهم، ويسـخرون من قوانينهم التي ناضلوا طويلا من أجل إرسـائها، ويرفضون المبادئ الديمقراطية في البلاد التي تسـتضيفهم، وأن هذا الحجاب من أشكال الغزو)[1]!!.

و(تركـي الحمـد) الـذي تأول أن المنـع ليس لـذات الحجاب، وإنما لأن المسـلمين لو سنحت لهم فرصة الإمساك بمقاليد الأمر في فرنسـا سـيتخذون موقفًا عدائيًا تجاه الآخرين وسيلغون مبدأ التسامح مع الآخرين[2].

هذه الفصيلة من المثقفين ليسـوا بحاجة للدفاع عن نوايا فرنسـا فـي موقفها من الحجاب، فالمثقفون الفرنسـيون أقدر على تولي تلك المهمة، لكنه مجرد تسـجيل نقطة في صحيفة الولاء لتلك الثقافة التي تتوسل بكافة الوسائل حتى القانونية لمنع الحريات.

---

(١) «المصدر السابق» ص١٤٠.

(٢) «عن الإنسان أتحدث» لتركي أحمد، ص١٠٨.

في الطرف المقابل يرى المثقف الإسلامي طه عبد الرحمن أن القرار الفرنسي بمنع ارتداء الحجاب هو قرار مرتكب لمخالفتين:

المخالفة الأولى - أن الدولة واعدت مواطنيها وعاهدتهم على الاختيار العقدي، ثم نكثت العهد معهم وأخلفت الوعد.

المخالفة الثانية - أنها مارست عنفًا روحيًا - وهو أشد أنواع العنف - مع مواطنيها؛ لأن أولئك النسوة عندما ارتدين الحجاب كان لتحقيق الغاية من خلقهن، وهو التعبد لله، ومنعهن يُعد عنفًا روحيًا أشد من العنف النفسي[1].

عندما ينتقل الأمر إلى البلاد العربية تجد أن السياسي العربي انضوى تحت راية تلك التوجهات التغريبية في تجفيف نبع الفضيلة وجعل يترصد لمظاهر انتشارها، تلك الدول المحكومة بأنظمة شمولية استفرغت قدرتها الأمنية على حماية القيم الأمنية ولو عبر بوابة العنف والاضطهاد.

في تونس عام ١٩٨١م أصدرت السلطات التونسية قانونًا يعتبر الحجاب زيا طائفيًا، منذ ذلك الحين امتدت اليد البوليسية لتمنع المحجبات من دخول الجامعات وأماكن العمل، وترصدت لهن حتى في الطرقات.

---

(١) «روح الدين» طه عبد الرحمن، ص ٢١٠ بتصرف يسير.

التعليم:

مسار التعليم كان فرس الرهان، وكان تحت عناية العين التغريبية التي أيقنت أن عملية التبعية العلمية هي باكورة مشروعهم وهي حجر الزاوية له.

يقول المستشرق (جب): (إن أنظمة الغرب السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تنجح إلا إذا شعر الناس أنها تعنى بحاجتهم، ولا بد أن يمهد لها السبيل بنظام في التعليم يتفق معها، ويخلق الحاجة لها ويكون رأيا مستنيرًا راقيًا توكل إليه الأنظمة الجديدة)[1].

في المقابل صور لنا (أبو الأعلى المودودي)[2] كيف بدأ الناس يزهدون في التعليم الديني، ويتقاطرون خلف التعليم العصري، يصور كيف أن الاستعمار فرض التعليم الحديث وعطل التعليم الديني، واصطفى نخبة مميزة من الأمة من ذوي الفطانة والنباهة ممن درس في التعليم الغربي، فدفعهم إلى تقلد المناصب في الدولة، وأفاض عليهم الخيرات والهبات فجعل الآباء يدفعون بفلذات أكبادهم إلى تلك المدارس؛ فقد باتت قبلة أمانيهم ورغبة طموحهم.

---

(١) «وجهة الإسلام»، جب وآخرون، ص٣٦.

(٢) «الإسلام اليوم» أبو الأعلى المودودي.

ولكن التبعية للنموذج الغربي استمرت حتى اليوم على صور عدة؛ منها:

١- دعوة رموز الفكر والفلسفة والأدب الغربي لإلقاء دروس ومحاضرات في الجامعات العربية على جيل الشباب دون تحفظ.

٢- تكليف شخصيات غربية لوضع مناهج التعليم في البلاد العربية، وإغداق المال وكافة المزايا عليهم.

٣- العناية الفائقة ووضع التسهيلات للمدارس العالمية ذات المناهج المغايرة لتدريس النشء في البلاد الإسلامية.

٤- الاهتمام بالتعليم العصري على حساب التعليم الديني.

استثمار الأحداث المفصلية التي تقع عالميًا ومحليًا لتشويه قيم صحيحة هو مدخل جذاب ومعبر ذكي يمر من خلاله التطرف التغريبي، فمثلًا انتشر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبعد أحداث العنف التي توزعت على كثير من المدن العربية طرح تغريبي لم يكتفِ بنقد وتقويم وتجريم مَن قام بذلك الصنيع، بل تسرب إلى جذور وقيم عقدية صحيحة وجعل يقوم بعملية إصلاحية بنكهة استئصالية.

فالولاء والبراء بات عقيدة تضاد التسامح والتعايش والاندماج مع العالم الآخر، مناهج التوحيد والفقه والحديث هي عوائق لم تعد تناسب عصرنة الواقع وباتت عثرة في طريق التعايش.

في دراسة أعدتها الأستاذة (سهام القحطاني) تحت اسم (من نقطة التعليم خلقت الحضارة) ضمن مؤتمر (خطاب التنوير في السعودية)، وهو من مؤتمرات تغييرات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر، تناولت الدراسة عدة مواضيع ومباحث حول تطوير المناهج الدراسية، وقبل أن تنتهي من قفل ملفاتها أوصت بضرورة (أن يعاد النظر في كثير من المقررات الدراسية التي لا يستفيد منها المجتمع ولا الطالب ولا الطالبة؛ مثل المواد الدينية التي يجب أن يخفف منها في المرحلة الثانوية أو تصبح مواد حرة، وتقرر كمواد رئيسة في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، كما يجب الاكتفاء بمادة واحدة فقط تحت مسمى (فقه الواقع) يتضمن مقرره رؤية وسطية لموقف المسلم من القضايا المعاصرة، وتدرس كمادة حرة. وكذلك مواد اللغة العربية؛ أن يخفف منها أو تحول إلى مواد حرة، والاكتفاء بمادة واحدة كمقرر رئيس للطالبة أو الطالب تتضمن (النحو والبلاغة القرآنية) في الصف الثالث، و(الأدب السعودي) في الصف الثالث.

وكان تعليقها على بعض الفقرات في المقررات الدراسية كالتالي:

١- (كتاب الحديث والثقافة الإسلامية/ الصف الثالث ثانوي ص: (٤٩)، في درس الجهاد وردت هذه العبارة: (ومن الحالات

التي يتعين فيها الجهاد (إذا نزل الكفار ببلد معين، تعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم، فالدفاع عن النفس واجب).

تقول الكاتبة: ولم توضح النقطة هل كل نزول في بلد يستوجب الجهاد؟ فقد يأتي غير المسلم لعمل أو طب، أي في حالة سلم أو دفاع عن هذه الأرض، فهل في هذه الحالة يستوجب الجهاد؟

فالعبارة (إذا نزل)، لم يقل الكتاب: إذا بدأ بالاعتداء، وهكذا فإن هذه العبارة تفتح مجالا للقتل بصورة غير مشروطة تحت مسمى جهاد لكل موجود غير مسلم في البلد، وهذا هو الفكر السائد عند الفئة الضالة. . فالجهاد لا يجب إلا (إذا اعتدى غير المسلم صراحة بسلاحه على أرضك).

٢- من مقرر كتاب التوحيد للصف الثالث ثانوي، ص: (٢٤)، في درس (تعظيم التماثيل والنصب التذكارية)، ورد في تعريف التماثيل: يقصد به الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرهما مما فيه روح.

والنصب: تماثيل يقيمونها في الميادين ونحوها لإحياء ذكرى زعيم أو مُعَظَّمٍ منهم على صورهم، محرم شرعًا؛ لأنه وسيلة للشرك.

تقول الكاتبة: كل المجتمع يُصوِّر ونُصَوِّر في المناسبات العامة والخاصة حتى رجال الدين، ونقتني التماثيل حبًا في الفن، بل وهناك

نحاتون مبدعون في ذلك، ويقام في البلد معارض رسم ونحت وتصوير، إذا المقرر يقول للطالب التصوير والرسم والنحت حرام، ويخرج الطالب ويذهب إلى معارض الرسم والتصوير ويحتفل المجتمع بها، أليست التقنيات الحديثة والإعلام من حاسوب ونت وصحافة وتلفزيون تعتمد في كثير من برامجها على هذه الفنون، ما هذا التناقض بين الخطاب المجتمعي والخطاب المدرسي، إن مفهوم النحت أو صناعة التماثيل أو الصور عند المسلم لا يتجاوز الاحتفاظ بالذكرى أو حب الفن أو موهبة يمارسها أو وسيلة لخدمة عمله، فهل من المعقول أن يتحول ذلك إلى عبادة! إذًا نحن في حاجة إلى النظر في حكم التصوير والتماثيل والنحت وفق ما تقتضيه المعاصرة.

إن تحريم رسم الصور أو النحت أو صناعة التماثيل تحتاج إلى فتوى تتواكب مع المفهوم الجديد الذي يؤمن به الفرد تجاه هذه الفنون خاصة.

٣- ومن مقرر التوحيد أيضًا للصف الثالث: درس (الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية)، ص: (٤٥)، وورد فيه: أن حكم المسلم الذي يعتنق أي مذهب إلحادي مثل الشيوعية والعلمانية والرأسمالية ردة عن الإسلام ومن النفاق الأكبر).

تقول الكاتبة: أولًا نلاحظ أن الرأسمالية مذهب اقتصادي وليس دينيًا، والانتماء الفكري له لا يُخرج المسلم عن دينه ولا يُكفره، فالإسلام احترم الحرية المالية للمرء وحفظها له، أما طريقة التصرف فيه قد تدخل من باب الإثم لا الخروج من الدين. والعلمانية تعني عصرنة الدين، والإسلام دين العلم، أي أن مفهوم العلمانية الذي يتبناها المسلم غير العلمانية التي أنشئت في أوربا نتيجة التمرد على سلطة الكنيسة، إذا مقرراتنا تحتاج إلى رؤية معصرنة للمذاهب التي أنشئت نتيجة تطور العلاقات الإنسانية، فالمسلم منذ الحضارة الأولى له كان منفتحا على كافة الحضارات والثقافات، كما أننا نتبنى مذهبًا فكريًا من خلال عقيدتنا لا عقيدة الآخر، وما ورد في هذه الفقرة يسهل طريق كل متطرف إلى تبني قاعدة تكفير المجتمع.

٢- مقرر التفسير للصف الثالث الثانوي، ورد من فوائد تفسير سورة المائدة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]، وردت الفوائد لهذه الآية:

٣- كالنصح والدلالة والإعانة، ونحوها ولاية المسلم؛ يجب صرفها إلى الله ورسوله والمؤمنين دون غيرهم كاليهود والنصارى والمشركين، إذ لا تجوز موالاتهم؛ لأن الولاية تعني الانحياز إليهم، وذلك محرم في دين الله.

لا يوالي الكفار إلا من في قلبه مرض، وهم المنافقون الذين يظهرون الإسلام وقلوبهم مريضة خالية من الإيمان، فهم يخشون الكفار ويخافون منهم فينحازون إليهم ويعينونهم على المسلمين.

١- هناك أناس من ضعاف الإيمان يسارعون إلى موالاة الكفار، ويقولون نخشى أن تقع بنا مصيبة من مصائب الدهر فنحتاج إلى نصرتهم، فعلينا أن نتخذ لنا أيادي عندهم في السراء والضراء تنفعنا إذا مستنا الضراء. وهذا الكلام ضد الخطاب الانفتاحي الذي يعيشه المجتمع لدينا، فهو يدعو إلى:

٢- يحرم الحوار الديني الذي نسعى له مع الأديان الأخرى، فالحوار مع غير المسلمين لا يعني موالاة، بل تفاهم في ضوء حرية كل منا في دينه.

٣- يحرم الاتفاقات السلمية التي تعقدها الحكومة مع الدول غير المسلمة لمساعدتهم وقت الحرب أو شراء الأسلحة منهم أو الاستشارات الأمنية، وهذا ما يروجه أصحاب الفئات الضالة.

٤- يهدم مفهوم العلاقة الإنسانية المشتركة التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، (فمسؤولية من هذا التناقض بين المقرر والفعل والخطاب الاجتماعي). . انتهى كلامها.

محاولات تشريح المناهج الدينية تمت بكثافة بعد الحادثة السبتمبرية الشهيرة، تواصت الرغبة الغربية مع العقل التغريبي في جعل تلك المناهج من ضمن ذخائر التطرف، ولا بد لها من فحص وإعادة قراءة، ومن ثم تأهيل تلك المواد لتتوافق مع المزاج الغربي، وبالطبع المعايير التي وضعت لمشروع عملية التأهيل هي معايير تخدم المصالح الغربية.

والمفاهيم التي تعرضت للتشريح هي: (الولاء والبراء، والجهاد، والتكفير، والقراءة الأحادية في علم العقائد، وتجميل مفاهيم أخرى كالليبرالية والحرية والمجتمع المدني والتعددية).

ويرفض صوت إسلامي آخر[1] دعوة التجديد في المناهج لعدة أسباب:

١- أنها جراء ضغط غربي.

٢- ناتجة من فهم خاطئ لمفهوم الجهاد.

٣- أن من يقود دعوة التجديد ينحاز بقوة إلى العلمنة والثقافة الليبرالية.

٤- بعضهم ليس لديه مانع في التطبيع مع الكيان الصهيوني.

بعد الهجوم على برجي التجارة العالمية وبعد الهجوم على

---

(١) «مجلة البيان» وليد الطبطبائي، ٢٢٤ العدد. ..

أفغانستان، برز بيان لستين مثقفًا أمريكيًا حمل عنوان: (من أجل ماذا تحارب؟)، ومن أبرز الموقعين (فوكوياما، وهنتنغتون، وفريدمان)، ورعاه بشكل رئيسي (معهد القيم الأمريكية) الذي يرأسه (ديفيد بلانكهورت) ويدافع عن القيم الأمريكية في المجتمع والأسرة والدين.

هذا المعهد أطلق نوعًا من الحوار حول مفهوم القيم الكونية كما يجري تداولها في الفلسفة الأمريكية، والبيان صيغ بشكل رئيسي لتسويغ الحرب على أفغانستان بوصفها حربًا عادلة، ولجأ إلى توظيف مفهوم (القيم الكونية) بوضعها ملجأ شرعي يجب على الجميع أن ينضوي تحته، بل وصلت بهم الجرأة والوقاحة لكي يبرروا لجرائمهم ضد الإنسانية، بل أوجبوا على المسلمين أن يقفوا إلى جوارهم لمحاربة التطرف الإسلامي.

انظر كيف غدت بوابة القيم مدخلًا شرعيًا لكتيبة المجرمين والمرتزقة، وأمست القيم هي السياج الذي يحتمون به والراية التي ينضوون تحتها.

لقد شدد البيان على عدة حقائق:

١- البشر يولدون وهم متساوون في الكرامة.

٢- الشخصية الإنسانية هي العنصر الأساسي في المجتمع. . (الفردانية).

٣- حرية الضمير والمعتقد. . (الحرية).

٤- القتل باسم الله مخالف للإيمان بالله.

ثم يعقبون: (بناء عليه. . فنحن نحارب للذود عن أنفسنا ودفاعا عن هذه المبادئ الكونية).

حقا لقد أزرى هؤلاء بشعارات القيم، فقد شكلوها كما يريدون سلاحًا للبطش بالآخرين وكتم أنفاسهم، واستطاعوا شطر العالم إلى فسطاطين متقابلين.

لم يتوانَ عدد من المثقفين السعوديين فانطلقوا من كونية القيم الإسلامية وصاغوا بيانًا مضادًا بصبغة دينية من باب إعادة الحق إلى نصابه ونصرة للمظلوم، فتكلموا عن عدة حقائق:

١- الإنسان مخلوق مكرم، فلا يجوز الاعتداء عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه.

٢- تحريم قتل النفس بغير حق.

٣- إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة أساس في الإسلام.

٤- العدل بين الناس حق لهم، والظلم محرم.

٥- الحوار والدعوة تتم بالحسنى[1].

---

(١) من بيان: «كيف لنا أن نتعايش»، تعقيبًا على رسالة المثقفين الأمريكيين ومن أبرز الموقعين، د/ سفر الحوالي، د/ سلمان العودة.

المثقف الأمريكي ولأنه يشعر بقدر من التعالي والكبر ولإحساسه أن ثقافته هي نواة العالم والآخرون يدورون في فلكها، فقد جعل من قيم إنسانية متعارف عليها بين كافة الثقافات قيمًا أمريكية خالصة، فجاء الرد من المثقفين السعوديين أن تلك القيم حاضرة في النص الشرعي لدى المسلمين منذ أربعة عشر قرنًا، «وقد أورد البيان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان المعلن عنه في مقر اليونسكو بباريس أربعة وعشرين حقًا من حقوق الإنسان مدعومة بنصوص من الكتاب والسنة»[1].

هنا لا تستغرب من روح الاستخذاء والهزيمة التي تسكن المثقف التغريبي، فبعد تلك الأحداث المفصلية نرى المثقف الأمريكي يدافع وببسالة عن سياسة الباطلة، وفي المقابل يقوم المثقف التغريبي بإعلان البراءة من المناهج التعليمية في بلده.

وبين هذين المنهجين (الإسلامي والتغريبي) سيجد المسؤولون في النطاق التعليمي أنفسهم بين خيارين:

١- إما خيار تعزيز منظومة القيم الإسلامية، وذلك عن طريق إعادة النظر في كيفية بناء المفهومات لدى المتعلم وأساليب ذلك وطرقه، والوسائل العلمية والمقاربات التربوية والتقنية الكفيلة بإبراز هذه القيم في صورتها الواضحة المشرقة، وبعدها الإبداعي،

---

(١) «الأسس الفكرية لحقوق الإنسان» لمحمد سبيلا، ص١٣٧.

وعالميتها المرتكزة على الرحمة بالناس، ودورها في حل الأزمات والإشكالات التي يتخبط فيها المجتمع المعاصر.

٢- وإما خيار الانخراط في منظومة القيم المادية التي تسوقها العولمة بواسطة الإعلام والاقتصاد والقوة العسكرية، ومن ثَمَّ الذوبان في مسلك حضاري تتشكل معالمه بعيدًا عن أساليب الإقناع والحجاج والحوار والتثاقف، واحترام الاختلاف والخصوصيات الحضارية للشعوب[1].

* * *

(١) مقال: «مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة»، خالد الصمدي.

«الرواية.. ثورة على القيم»

أنا روائية فضائحية.. (زينب حفني)

في الستينيات نشرت وزارة الثقافة المصرية ترجمة لكتاب الأديب الإنجليزي (ت. س. إليوت) الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٤٨م.

الكتاب قام على ثلاث أفكار رئيسة، منها: أن الثقافة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدين، يقول: (لا يمكن أن تظهر ثقافة إلا وهي تنمو متصلة بالدين)، ثم يتساءل: (هل من الممكن أن تظهر ثقافة إلى الوجود دون أساس ديني حيث إن الثقافة تجسيد لدين الشعب؟).

هذا التفسير من شاعر وأديب غربي لا يروق كثيرًا لمزاج مَن يبحث عن التخلي عن قيود الدين في شعره وأدبه، يشعر بعض الأدباء الذين استهوتهم جذوة التحلل القيمي والتماجن وظنوا أنهم يسيرون في ظلام الدين ولن ينتهي هذا الليل إلا بحداثة أدبية تتحرر من قيود الدين والخلق والعرف.

«من دواعي الثورية عند البعض التمرد على القيم الاجتماعية والآداب العامة، ولا نبالغ إذا قلنا إن فكرة الالتزام بمبادئ وقيم

أخلاقية أصبحت غريبة عن الوعي المحدث، وقد تغني سذاجة الشخص وبساطته»[1].

الإسلام ليس سياجًا يقف دونه الإبداع، ولا ينقطع مداد المبدع لو دخل رحابه الواسعة، ولن تطفأ جذوة الإبداع في المنتسبين له، بل هو مهذب للنفس عن غوائل الفحش والبذاءة والإسفاف والتماجن، الفن والإبداع الذي يؤدي إلى التصدع في الفكر والأخلاق ليس فنًا راقيًا؛ بل هو انقطاع عن المرجعية التي تتخلى عن (الدين)، وانقطاع عن التواصل مع (المجتمع)، يقول حسن الهويمل: (واقرؤوا إن شئتم روايتي (الخبز الحافي) لمحمد شكري و(وليمة البحر) لحيدر حيدر مع ما أحدثته من تصدع مخيف في المشهد الفكري والأخلاقي، ومثلما تردى الشعريون في النثرية والسرديون في العبثية وقعوا أيضًا في الانقطاع بكل أنواعه؛ انقطاع المرجعية وانقطاع التواصلية، فنشأ عن ذلك خلل في اللغة وخلل في القيم)[2]، ثم يقول: (الذين اعتادوا الفجور والتهتك والفحش دونما حياء أخلوا بعنصر السياق، ومثلهم الذين اتخذوا الأيدلوجيات والأنساق الثقافية المغايرة لأفكار حضارتهم وأنساقها، والذين رضوا بأن يطلقوا على ما يقولون (رواية) أو (قصة)؛ كل أولئك خارجون عن مفاهيم الحق والحرية)[3].

---

(١) «اغتيال العقل» برهان غليون، ص٢٢٧.

(٢) من «ندوة الرواية بوصفها الأكثر حضورًا» نادي القصيم الأدبي، ص١٩٥.

(٣) المصدر السابق.

يزعم شاكر النابلسي أن الرواية السعودية حملت مشعل التنوير هذه المرة وتقدمت خطوات متسارعة، وكسرت تلك القيود الوهمية التي طالما وضعها علماء الدين[1]. . كما يهذي.

الرواية السعودية صاحبها احتفاء وترحاب مذهل في الفضاء العالمي، واستحق على أثره العديد من الروائيين والروائيات جوائز عربية كالبوكر مثل عبده خال، وبعضهم جوائز عالمية، وترجمت أعمالهم إلى الفرنسية كيوسف المحيميد.

في حين يزعم ناقد له قامة نقدية كالغذامي أن أغلب هذه الروايات لم تحصل على الحد الأدنى من شروط الحبكة الروائية، لكن موجة الاندفاع خلف تمجيد الرواية السعودية عربيا وعالميًا كانت لها دلالات ثقافية أخرى ليست محايدة، وبالتحديد فيما يخص المرأة السعودية.

في المشهد الروائي السعودي كثفت الرواية النسوية من تواجدها بشكل لافت، حتى وصلت في عام واحد إلى ثلاثين رواية، واحتلت الرواية الفضائحية الحيز الأكبر من تلك الروايات، وتنافست المخيلة النسوية على كشف المستور - كما يقال - وعلى تجاوز المحذور، وبات يقاس الإبداع النسوي بمدى جرأة الروائية السعودية على حشد

---

(١) «تهافت الأصولية» شاكر النابلسي، ص٢٣.

أكبر عدد ممكن من الوصف الجنسي والعبارات المخجلة والعهر الفني بدل أن كان المقياس الإبداعي هو العبارة العالية والصورة الجمالية والحبكة المتناسقة.

ومن أبرز المواضيع التي تناولتها تلك الروايات علاقة الرجل بالمرأة، فجاءت أغلبها تطالب برفض تلك العلاقة، وعدم الاكتفاء بالرفض السلبي، بل بتصعيد الرفض إلى السطح ومن السر إلى العلن، والتمرد على سلطته وإقامة قطيعة معه وإحداث صراع حاد بين الطرفين.

القيم الإسلامية العالية تدعو إلى لغة تراحمية مليئة بالود بين الطرفين، وهنا تطالب اللغة النسوية السعودية بهدم هذه القيم والاستقواء عليها بصورة متوترة متصاعدة لن توفر حياة كريمة ومفعمة بالود.

المشهد السعودي شهد انفجارا للرواية السعودية على مستوى النشر، يصف بداياته الكاتب محمد العوين قائلًا:

«انفتح السد المنيع بعد نجاح (بنات الرياض) التي ترجمت إلى لغات عالمية عديدة أمام كتاب وكاتبات سعين إلى الإيغال في ملامسة المحذور، فرأينا: (سعوديات) لسارة العليوي، و(شباب الرياض) لطارق العتيبي، و(ملامح)، و(لم أعد أبكي)، و(نساء عند

خط الاستواء) لزينب حفني، و(اختلاس) لهاني نقشبندي، و(مفارق العتمة) لمحمد المزيني، و(القارورة)، و(الحمام لا يطير في بريدة) ليوسف المحيميد، و(فسوق) لعبده خال، وغيرهم، فاندفعوا راكضين وراء غواية الحضور وجذب فضاء الحرية التعبيرية الذي انفتح فجأة في سياق التغيرات الاتصالية، ومعطيات انهيار مفهوم النخب الثقافية، وشيوع مصطلح القرية الكونية، وهيمنة ثقافة الشارع، ويسر مسألة التعبير والقول الفردي الإرادي في الإنترنت وغيره، فامتلأ السوق بما كان محتقنًا مخزونًا سنين طوالا، وبما كان محظورًا من قضايا الجنس والتقاليد والطائفية والشذوذ، وما يحدث في قاع المجتمع من ممارسات»[1].

هذا اللون من الروايات يخطئ كثيرًا من يظنُّ أنه إنما يُكتَب لمجرَّد الترفيه والتسلية، أو لأجل التفنُّن واستعراض المهارات القصصية؛ ذلك أن أربابها مصرِّحون بمرادهم، وأنهم يريدون شيئًا وراء ذلك كلِّه، نعم. . إنهم يريدونه أدبًا خارجًا عن الأدب، وفسوقًا محصَّنًا من المحاصرة الشرعية القاتلة لفوضى الأخلاق، ذلك أنهم يرون ألا إبداع إلا بسلوك طريق السوء هذه، وهي لعمري الدعوة إلى علمنة الأدب والفنِّ بفصلهما عن الدين طردًا لقاعدة العلمانية الكبرى «فصل الدين عن الحياة»[2].

(١) مقال: «هوس الجنس في الرواية السعودية».
(٢) «من عبث الرواية»، عبد الله العجيري، ص٩.

ويتفطن المثقف «عبد الرحمن الأنصاري» ويكشف عن الرغبة القبيحة لدى أولئك الروائيين، فيشير إلى رواية (شارع العطايف) التي لم يجد فيها كاتب الرواية ما يحمله على الحديث عن رموز الدعوة السلفية وعلماء وفقهاء العاصمة الرياض الذين كان ذلك الشارع والشوارع الأخرى المحيطة به هي مساكنهم ومسارح دعوتهم، فهنالك قلب الرياض حيث جامع الإمام تركي بن عبد الله، ومقر قصر الحكم، وساحة الحق والعدل حيث تنفذ أحكام الله في المدانين. . ولكن مؤلف الرواية لم يجد من يتحدث عنهم من قاطني ذلك الشارع ومرتاديه إلا فئة السفلة والمنحطين والذين لا يمكن لأحد أن يظن ولو ظنا أن فسقهم وفجورهم يمكن أن يكون بمثل تلك الصورة التي صورتها الرواية، لولا جهود المؤلف المعروف بعدائه السافر لأهل الله استهزاء واستعداء وافتراء![1].

أهم أوجه الانحراف في هذه الروايات:

في تلك الروايات كما يبين عبد الله العجيري:

١- تشويه الواقع.

٢- ضرب الأصول الشرعية، ومهاجمة الأحكام الدينية.

٣- الانحلال الخلقي.

---

(١) مقال: «تسابق الروايات في تمجيد الرذيلة».

٤- التهجُّم على المجتمع وقيمه.

٥- التغرير بالمرأة والعبث بقضاياها.

٦- مهاجمة أهل الخير المجتهدين في الالتزام بهذا الدين.

٧- مهاجمـة التيار الإسـلامي، والمؤسسـات الدينية الرسـمية وغير الرسمية[1].

* * *

(١) «من عبث الرواية» عبد الله العجيري.

«شبهات أدبية»

يستند المُبدع التغريبي على عدد من الأغاليط التي جعلها كحجج يحاول الاستعانة بها في كل جدل يتم معه حول مسؤوليته عن المضمون اللاأخلاقي الذي يزخر به عمله الأدبي، ومنها قوله:

١- الإبداع لا يحكم عليه من لا يتقن معيار الإبداع، ولا ينبغي لعلماء الدين ورجال الفقه أصحاب الرؤية الضيقة والجمود المذهبي أن يحكموا على قوانين الإبداع بقانونهم الرجعي.

٢- إن الإبداع يدخل في نطاق الجماليات، وهي دائرة مستقلة عن دائرة الاعتقادات والقيم، فالدائرتين منفصلتين متباعدتين تعملان على وظائف مختلفة.

٣- إن الإبداع والحرية متلازمان تلازم الشمس والنور؛ فلا إبداع بلا حرية، ولا حرية دون إبداع، ولا يمكن للإنسان أن يرتقي في سلم الإبداع ما لم يعتنق مذهب الحرية.

٤- إن ما يصوره المبدع رواية وشعرًا هو انعكاس صادق لحال المجتمعات، وتصوير بليغ لما تعج به من مخالفات وقيم، والمبدع هنا مجرد ناقل وكاشف لطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، فالمبدع

ليس واعظا يتملق الخطاب المثالي ويُعلي من الصورة الحسنة ويخفي الصورة الأخرى، المبدع يبرز الإيمان بجوار النفاق والطهر بجوار العهر.

٥- طبقات التاريخ والتراث تحفل بحكايات وأمثلة مليئة بقصص الواقع الإنساني فيها كألف ليلة وليلة والأغاني، ومجالس اللهو كانت رائجة ومنتشرة يحضرها الجميع ولم ينكرها أحد.

بعد أن سُقتُ أهم تلك الشبهات التي يروج لها أتباع المذهب العبثي ويسترسلون في إثارتها مع كل صدام مع التيار الديني، سأقوم بمحاولة الإجابة على تلك الشبهات:

١- أن من حكم على تلك الأعمال الأدبية بالإسفاف والسقوط هم بعض الأدباء ممن يجيدون المعيار الأدبي وظلوا لسنوات طويلة يدرسونه في الجامعات لتلاميذهم ويحيطون علمًا بتلك المذاهب الأدبية.

٢- أن الفصل بين دائرة الإبداع الأدبي والدين منطق علماني صرف، فالدين يحضر وبقوة في الفعاليات الأدبية ويطلب رأيه، وهو من أسس مكونات الثقافة، وجعل الدين خارج المحكمة الأدبية لا يقر به العقلاء.

٣- لا مانع من تلازم الإبداع والحرية، ولكن لا تلازم بين الإبداع والإيغال في الفحش والرذيلة، وقد عد بعض النقاد أن لجوء بعض المبتدئين إلى الإشارة الجنسية لكي يستر ضعفه الأدبي والفني.

٤- المبدع ليس مطالبا بأن يكون واعظا، ولكنه مطالب بأن يحمل رسالة سامية مشحونة بلغة غيورة تعالج عثرات مجتمعه، وليس من النفع العام إظهار الزوايا الكالحة في المجتمع، فما هو المردود والأثر الحسن من ذلك.

* * *

«تحت راجمات الإعلام»

الإعلام المحايد ضرب من الخيال (أحمد الصويان)

وزارة الإعلام في أحد الدول الخليجية كانت تجبر المؤسسات الفنية التي تقوم بإنتاج المسلسلات في دولة مصر وترويجها في السوق الخليجية على التقيد بقائمة من القيود الأخلاقية حتى يسمح لتلك المسلسلات بالعرض، من تلك القيود:

١- الحرص على الاحتشام للسيدات.

٢- عدم احتضان ممثل لممثلة.

٣- منع الرقص.

٤- منع ملابس البحر.

٥- منع ظهور الخمر.

٦- عدم التهكم بالدين.

٧- ممنوع غناء السيدات.

٨- عدم خلوة رجل بامرأة.

٩- عدم جلوس رجل وامرأة على سرير واحد.

هـذه القيـود الأخلاقية التي حرصـت عليهـا وزارة الإعلام في تلك المرحلة (قبل عشـرين سـنة) كانت للمسـاهمة فـي وقف الهدر القيمي الذي تسـببت به المسلسـلات العربية وبرامـج تلفازية أخرى، هـذا الحـرص كان في حقبة ما قبل الانفجـار الإعلامي المذهل وقبل إطلاق القنوات الفضائية قبل ١٩٩٠ ميلاديًا.

فـكان من اللازم أن تظـل تلك القيود أو تزيد في مقابل التصاعد اللافت للنظر في البرامج الفضائية التي اكتسحت الفضاء العربي.

وبدل أن يكون هناك استجابة مماثلة لهذا العبث المتنامي تتفاجأ مـن تخفيف تلك القيود، بـل وأحيانًا تم تجاوزهـا ووصل الحال إلى استشـكال وضـع مثل تلك القائمة، وعد ذلك عمـلا اعتباطيًا في زمن الانفتاح الإعلامي.

تذكر الدكتورة (رحيمة عيساني) في كتابها (العولمة الإعلامية) أن هناك مظاهر سلبية للفضائيات التغريبية:

١ - النـزوع نحـو الفردانيـة وقتـل قيـم التضامـن والتـآزر وقيم الجماعة.

٢- السلبية والجنوح للاستسلام.

٣- تغييـر القيم الاجتماعية، حيـث إن الفضائيات الوافدة أثرت

في منظومتنا القيمية تأثيرًا كبيرًا.

فقد تغيرت القيم الدينية بإحلال عبادة (إله الكمبيوتر) بدل عبادة (الله) كما يقول غارودي[1].

٤- زعزعة القيم الأخلاقية.

٥- تهدف الثقافة (السمعبصرية) إلى تسطيح الوعي واختراق الهوية.

٦- فرض النموذج الأمريكي[2].

دعونا نقف أمام هذا الاعتراف الخطير من مخرج عربي ظل يساهم فترة من الزمن في إخراج اللقطات المثيرة في ما يعرف بـ (الفيديو كليب)، يقول (وجيه أحمد) وهو مخرج مصري: (أحيانا أشعر بأنني أود لو أنني لا أفعل ما أفعله، فأنا غير سعيد من الناحية الدينية لأنني أركز في المونتاج على أكثر الأجزاء إثارة في جسد العارضات، أنا وجماعة من زملائي المخرجين جلسنا في مقرأة قرآن مع أحد الشيوخ. . .)[3].

---

(١) «العولمة الإعلامية» رحيمة عيساني، ص١٢٣.

(٢) «المصدر السابق».

(٣) «الصورة والجسد» محمد حسام الدين، ص ٢٤.

في الولايات المتحدة هناك صراع بين تيار علماني يؤازر ثقافة العري ويدعو لتطبيعها، وفي المقابل هناك تيار مسيحي محافظ يناهض هذا التعري ويكافح من أجل تحجيمه والتقليل من أضراره، لكن الغلبة كانت لمصلحة التيار العلماني الذي يملك قدرة إعلامية هائلة.

يُقال إن أحد صفات ومزايا المشاهير في مرحلة (ما بعد الحداثة) هي (الفضائحية الاعترافية)، وخاصة ما يتعلق بالجسد والتعري، وثقافة التعري لم تعد ذات هدف غرائزي بحت، وإنما تحولت إلى عامل اقتصادي يحقق إيرادات عالية ويحقق مكاسب هائلة وانتشارا واسعًا للجهة المنتجة لتلك الثقافة.

تطبيع التعري في القنوات العربية التي تتسم بقدر من المحافظة بات من لوازم مرحلة الحداثة والإعلام الجديد، لذا من سيعترض على هذا الفيض الهادر من الصور الخادشة للحياء التي تستحوذ على برامجنا الفضائية سيجد نفسه موصوفًا بالتخلف والتشدد والهوس الجنسي.

وثقافة التعري هي أيضًا تستخدم في معركة ضد التقاليد والأعراف الإسلامية.

يقول أكبر أحمد: (إن احتشاد وسائل الإعلام ضد جماهير العالم الإسلامي يشبه احتشاد قوات المغول على أبواب بغداد، وإن أسلحة الإعلام الجديد هي نفسها التي دمرت الشيوعية متمثلة في آلة الدعاية الجبارة، وهي آلة تقف جنبًا إلى جنب مع الإعلانات المغرية والنجوم اللامعة التي تغرق قيم النزاهة والعفة)[1].

في دراسة إعلامية مميزة ومتخصصة تحت عنوان: «دراما رمضان ١٤٣٣هـ . دراسة وتحليل»، أشرف عليها الدكتور مالك الأحمد، وقام بها فريق إعلامي متخصص دُرِّب على فنون التحليل التلفزيوني لرصد العديد من المخالفات القيمية والأخلاقية والعقدية في الدراما الرمضانية لعام واحد فقط! !! تبين أن نسبة التجاوزات مخيفة جدًا ومفزعة، وكانت كالتالي:

- إجمالي المشاهد التي عرضت التدخين بأنواعه بلغ ٣٥٦ مشهدًا.
- إجمالي المشاهد التي عرضت تعاطي المخدرات بلغ ٣٣ مشهدًا.
- إجمالي المشاهد التي عرضت تناول الكحول بلغ ١١١ مشهدًا.
- إجمالي المشاهد التي ظهر فيها التعري والملابس المكشوفة بشكل مثير من الصدر أو من الخلف، بلغ ١٥٣٦ مشهدًا.

(١) «الجسد والصورة» حسام الدين إسماعيل، ص١١٧.

- إجمالي المشاهد التي تناولت التعبيرات الجنسية اللفظية بلغ ٢٧٠ مشهدًا.
- إجمالي المشاهد التي ظهر فيها ما يمكن وصفه بالتعبيرات الجنسية المحسوسة من عناق وقُبَل، بلغ ٤٢٨ مشهدًا.
- إجمالي المشاهد التي عرضت التحرش ومظاهر التحرش الجنسي بلغ ٥٤ مشهدًا.
- مشاهد السرقة بلغت ٢٢ مشهدًا.
- مشاهد القتل أو محاولة القتل بلغت ٧٧ مشهدًا.
- مشاهد العراك بالأيدي أو بالأسلحة بلغت ١٤٥ مشهدًا.
- مشاهد الصراع بين النساء على رجل أو بين الرجال من أجل أنثى بلغت ٣١ مشهدًا.
- مشاهد الألفاظ النابية بلغت ٤٧٣ مشهدًا.
- مشاهد الاحتيال والنصب بلغت ١٥٣ مشهدًا.
- التعبيرات عن كفر وإلحاد والتجاوزات على الدين بلغت ٤٩ مشهدًا.
- نقد الحجاب واللحية ظهر بواقع ٥٣ مشهدًا.
- إجمالي المشاهد التي تناولت هدم العلاقة بين الأب والأبناء بلغ ٦٣ مشهدًا.
- إجمالي المشاهد التي تناولت التعدي (باللفظ أو بالأيدي) على الأب أو الأم من قِبل الأبناء بلغ ٤٦ مشهدًا.

في عام ٢٠٠٣م أعلنت محطة المستقبل اللبنانية عن ختام برنامجها المسمى (سوبر ستار)؛ وهو برنامج منافسة غنائية بين مغنين ومغنيات، وامتدت المنافسة لمدة أسابيع، بلغ عدد المتابعين له إحصائيًا من دولة عربية واحدة سبعة عشر مليون مشاهد، وبلغ عدد الذين صوتوا عبر الهاتف في الحلقة النهائية أربعة ملايين، واتصل ملك الأردن وملكته بالفائزة فور إعلان النتيجة، وفي دمشق احتشدت الجماهير في الساحات، وعندما صرخ المذيع بالنتيجة دوت طلقات النيران في شوارع عمان، وانهمرت الدموع في الاستوديو، وكان حدثا إعلاميًا مدويًا.

الاختراق القيمي بمثل هذا النوع من الطرح الإعلامي الذي يتصف بالهشاشة الفنية وفقر المضمون والبحث عن اللذة يكشف عن أداة بالغة الخطورة باتت فاعلة في إعادة تشكيل أولويات القيم عند المتابع، بل قد يصل الأمر إلى استبدال قائمة طويلة من القيم بقائمة أخرى لم يعد يجد المتابع حرجًا في الولوع بها واقتطاع جزء ثمين من وقته لمشاهدتها.

يقول فهمي جدعان: (لنتابع جيدًا مصادر الثقافة التي تبعثها قنوات وإذاعات تمولها الإدارة الأمريكية أو البريطانية تمويلا مباشرًا أو تقف وراءها شخصيات خليجية مثل: سوا، روتانا، مزيكا، ستار

أكاديمي، ولنستمع إلى ما يصاحب هذا الفن من رسائل تثير الاشمئزاز في انحطاطها وسفاهتها، وذلك على مدار الساعات الأربع والعشرين، المسوغ لهذا كله نشر الحرية، ولكن الغاية والقصد هما تشويه الإنسان وإعادة تشكيله ليكون بلا معنى ويستغرق في مذهب اللذة)[1].

العقل التغريبي استعجل قبل غيره بالمراهنة على وسائل الإعلام في تغيير وتشكيل العقلية المحافظة، فتمكن من الاستحواذ عليها، وطيلة سنوات مضت كان الإعلام هو فرس الرهان في كسب الجولة ضد الحصون المحافظة، واعتمد في ذلك على عاملي الترفيه واللذة وعلى طبقتي الشباب والمرأة.

وتبعًا لهذا السرف العبثي انصرف حال الناس من التعلق بالأمور الجليلة إلى متابعة التافه من الأعمال والحديث عن أخبار نجوم الغناء والرقص والتمثيل ورصد شؤون حياتهم الخاصة وجعلهم مثالا ونموذجًا يُحتذى به.

«فالإعلام الذي يتقلب بين مرئي ومسموع ومقروء يطرق ليل نهار وخلال أعوام على عقل سوي وفطرة صحيحة، ألا يقوى على أن يصوغ العقل ويعيد رسمه؟ فكيف إذا كان الإعلام يتقن صنعته وخبيرًا بها والعقول البسيطة من السهل التغرير بها»[2].

(١) «المقدس والحرية»، فهمي جدعان ص١٩٥.
(٢) «العقلية الليبرالية» لعبد العزيز الطريفي، ص٧٦.

الإعلام التغريبي لم ينجح فقط في تسويق معاني المتعة واللذة واللهو؛ وإنما برع كذلك في إذابة الحقائق الشرعية، وقد يتم عرضها على أنها مجرد عادة وتقليد موروث، أو أن الإسلام متعدد والناس لهم الخيار في فهمه كيف شاؤوا، وبهذا تتضعضع قيم الإسلام وأصوله في النفوس بمثل هذا النمط من التمويه والتذويب.

يقول الدكتور محمد الحضيف: (إن المستعمر دخل حياتنا وأحدث خللا في منظومة القيم التي تحكم علاقتنا بالآخرين في المجتمع وتحكم رؤيتنا للحلال والحرام والعيب والشرف عن طريق عرض تلك القيم والأخلاق لسيل لا ينقطع من المفاهيم والتصورات المضادة والقيم المتناقضة عبر مصادر معلومات متعددة وفي مقدمتها وسائل الإعلام)[١].

الإعلام الديني ممثلا في كوكبة من القنوات التلفازية فطن لتأخره عن مضمار السباق الإعلامي، فولج متأخرًا ببدايات متواضعة إعلاميًا وتقنيًا.

لكن وجوده أبهج قطاعًا كبيرًا من الأسر المتدينة التي تعطشت لمثل هذا المصدر المأمون والموثوق به.

(١) مقال «وسائل الإعلام هل تهدد نظامنا القيمي؟»، لمحمد الحضيف.

الوعي التام بمآلات الجلوس أمام إعلام فاسد يضخ مادته الإعلامية المشبوهة هو الذي جعل تلك الأسر تعلن دون تردد عن تبديل خياراتها في اقتناء الخيار الديني.

لم يكن الفارق التقني والكفاءة الإعلامية ليقدم على خيار حماية وتحصين الناشئة من أن تتآكل قيمهم تدريجيًا على مرأى ومسمع من الوالدين.

ولكن وعي المتابع النابه لمنطلقات تلك القنوات يدرك تمام الإدراك أنها تختلف في الرؤية التي أرادت تقديم رسالتها الإعلامية من خلالها، والكساء الذي اختارت لتتميز وتنفرد من بين العديد من القنوات الدينية، فهناك:

١- قنوات تبنت الرؤية السلفية المحافظة، فآثرت عن وعي اجتناب مزالق إدخال العنصر النسائي والموسيقى.

٢- قنوات تخففت وتساهلت في منظومتها الإعلامية فدفعت بالمرأة في عالم الإعلام مع ما في هذه المشاركة من تجاوز لافت للضوابط الشرعية المتعارف عليها، وكذلك إدخال للمؤثر الموسيقي في مجمل برامجها.

٣- قنوات ضمنت في برامجها (البرامج الحوارية) ورفعت من سقف الجرأة إلى حد استضافة قامات وأسماء ذات اتجاهات منحرفة

علمانية وليبرالية من منطلق دعوى الحوار والرأي والرأي الآخر، وأن الفضاء المفتوح لم يعد مناسبا فيه الصوت الواحد والرؤية الواحدة.

مع التواجد الكثيف للقنوات الإسلامية كان لا بد للمتابع من أن يقوم بحالة من الفرز لمضامين تلك القنوات، فلا تخلو بعضها من منطلقات تجارية وربحية، وقد لا تبالي بجودة المضمون أو غرس قيم صحيحة، وإشكالية تلك القنوات أنها تحمل رسالة مزدوجة، فكثير من القيم المحافظة تتخلى عنها تلك القنوات بحجة أن شريحة ممن يتابعهم ينتسبون إلى أقليات مسلمة في الأراضي الأوربية، وفي ذات الساعة هي تقدمها لشريحة أكبر لأسر محافظة في بلدان إسلامية.

ومن تلك القنوات من تغافلت عن نشر قيم (الجدية) و(الفاعلية) وملأت جدولها الإعلامي بقائمة من البرامج الهزلية والهزيلة حتى بات اللهو والتسلية يمثلان قيمة إعلامية تستحوذ من خلالهما على رضا المتابع وتتودد إليه بهذه النوعية من البرامج.

* * *

الفجور السياسي

يقول المستشرق جب في كتابه (وجهة الإسلام):

(وأظهر علاقة تميز العالم الإسلامي في هذه العقود الأولى من القرن العشرين؛ ليست هي صيرورته إلى الأخذ بمنازع الغرب، ولكن رغبته في ذلك.

ومن العسير أن تقع عين الرائي على بلد إسلامي واحد يرفض مستحدثات الغرب رفضًا قاطعًا في ميادين الفكر والحياة، فلم يُعلم من المسلمين زعيم مثل غاندي يدعو مواطنيه إلى محاربة المدنية الشيطانية، بل الأمر عكس ذلك، فقد سارع أولئك الزعماء لتلك المدنية)[1].

اعوجاج الضلع السياسي في تلك الحقبة الحرجة كشف عن جسد الأمة، فجعلت عاصفة التغريب تهب على الجسد الإسلامي المكشوف، وللأسف أولئك الساسة هم من ساهم وبتفان عجيب في كشف الجسد الإسلامي أمام إبر التخدير الغربي، وذلك إما بالرغبة الصريحة أو بالممارسة العملية والتهافت على نمذجة مجتمعاتهم على النمط الغربي.

(١) «وجهة الإسلام» مجموعة مؤلفين، ص ٢٠٧.

(الفجور السياسي)[1] مصطلح معبر نحته الشيخ الغيور (فريد الأنصاري) كتعبير دقيق عن حالة المساهمة السياسية في إحداث انحلال أخلاقي لأكبر شريحة ممكنة من المجتمع المسلم تحت غطاء حكومي ودون ممانعة شعبية فاعلة.

حزب الفجور السياسي: هو الفساد الأخلاقي المدعوم سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا.

ويفرق «الأنصاري» بين الفجور الطبيعي والسياسي، حيث جعل الأول استجابة لرغبة ذاتية حيوانية للفساد والشهوات، وجعل الثاني فلسفة للفجور بجعله: مدافعة جهة الإصلاح.

وذلك من خلال ترسيخ فلسفة الانحلال في المجتمع، وذلك باستحلال طاقة الفجور الطبيعي في النفس.

لكن ما مآلات هذا الفجور على الدعوة والدعاة والحركة الإسلامية عمومًا؟

إن المجتمع الغارق في شهواته المستهتر بالقيم لن يستسيغ ولن يقبل الخطاب الإسلامي الخلقي، ولن يسمع له، إن هذا الفجور الحكومي هو إستراتيجية لجعل الرأي العام يصل بنفسه لمرحلة الرفض التلقائي للخطاب الإسلامي وحصره في نطاق ضيق.

---

(١) «الفجور السياسي»، فريد الأنصاري.

وهذا الفجور يجعله (الأنصاري) مسارًا ذكيًا للقضاء على حركة الوعي الإسلامية، وأفضل من ممارسة الأسلوب الدموي الذي تستخدمه بعض الدول لقمع التدين، بل قد يكون في القمع المباشر ارتفاع مذهل وإقبال من الناس على التدين.

والذكاء السياسي لحزب الفجور أنهم يدعون هامشًا من التدين للناس كحقنة تخدير في عضد بعض الغيورين المطالبين بإسلامية الحكم، وكحيلة مخادعة لمن اعتاد على قراءة ظواهر الأشياء.

العلاقة بين الدين والسياسة مرت بمراحل وأطوار تفسر مآلات الوضع الحالي وتشرح سطوة السياسة على مكانة الدين وترصدها الدائم له:

المرحلة الأولى - مرحلة الاندماج بين الديني والسياسي، فقد كانت السياسة خادمة للدين وللأمة، وهذه تمثلها المرحلة الراشدة.

المرحلة الثانية - الصراع بين الدين والسياسة حتى نتج عنها تصالح وتعايش، فقام العلماء بدور النصح والوعظ والقضاء والتعليم مقابل اعترافهم بشرعية الملك كأمر واقع.

المرحلة الثالثة - مرحلة سطوة السياسة على الدين، وغلبة الحكام على العلماء، وزحزحة وتهميش دور الدين وتفكيك مؤسسات الدين.

بعض الإسلاميين كـ (الغنوشي) قارب كثيرًا؛ فجعل التغريب والديكتاتورية السياسية قرينان، إشارة منه إلى استثمار القبضة الأمنية لكل أدواتها في بسط رؤيتها التغريبية وتحجيم دور الحركة الإسلامية، بينما تجد أن المثقف التغريبي يبارك الحلول الراديكالية لاستئصال الجذور الإسلامية.

يقول المفكر العلماني رضوان السيد: (الأصوليون صار الإسلام عندهم دينا ودولة ومصحفا وسيفا، ولكن حتى تنتهي الأصولية لا بد من إصلاح راديكالي على النمط الفرنسي)[١].

إذن. . لدينا هنا سؤال هام يفسر لنا العلاقة بين المثقف التغريبي والمستبد السياسي! وهو:

كيف دعم المثقف التغريبي المستبد؟

يأتي ذلك على عدة صور:

١- بدعم الانقلابات العسكرية؛ كما حدث في تركيا والجزائر ومصر مؤخرًا.

٢- بتضخيم بعض حسناته في مقابل طمس كامل لجرائمه؛ كما حدث مع بورقيبة.

---

(١) «حصيلة العقلانية والتنوير»، ندوة إصدار مركز الوحدة العربي، ص ٧٩.

٣- بمشاركة في مباركة استئصال الحركات الإسلامية ووصمها بالإرهاب والتطرف دون دليل.

٤- بتعزيـز مفهوم (فوبيا الإسـلام) الـذي راج في الغرب وتبنته الدول العربية العلمانية.

* * *

مداخل غير تقليدية:

- من خلال نشر شعارات القيم الحضارية.
- من خلال الأقوال الفقهية الشاذة.
- من خلال التراث.
- من خلال المواثيق الدولية.
- من خلال أنشطة ثقافية ممولة من الغرب.

* * *

«القيم الحضارية»

الحداثة هي القدرة على أن يغير الإنسان قيمه بعد إشعار قصير.
(عالم غربي)

عندما يُكثر المثقف التغريبي من مفردة (القيم) فلا بد أن تحيط تلك المفردة بكمية من الاستفهامات عن معنى تلك القيم في معجمه الخاص.

ستجد عندها أن القيم التي يناضل عنها ويُعلي من شأنها ويتباكى على فقدها هي تلك (القيم الحضارية).

يقول إبراهيم البليهي: (وجود الانحرافات الفردية في الغرب لا يعني أن تلك المجتمعات كلها ساقطة، ولو كانت كذلك لما تقدم الغرب، فالتقدم شاهد على الالتزام الأخلاقي!! فانحرافات الأفراد لا تؤثر ما دام أن الأكثرية تلتزم القيم الحضارية)[١].

عندها سيقود هذا إلى البحث عن ماهية تلك القيم الحضارية التي لن تكون سوى (الفردية، والحرية، والليبرالية، والديمقراطية، والتعددية، والعقل النقدي).

(١) «حوارات البليهي» ص٢٩٠.

ما أسوأ المثقف عندما ينزع عنه لباس المصداقية ويتقدم ليكون محاميًا عن الانحلال الأخلاقي الذي باتت الحياة الغربية تتمرغ فيه وتقوض إنسانية الإنسان.

الحيلة التي قام بها هؤلاء في إعادة تشكيل وتعريف القيم هي كي تتلاءم مع رؤيتهم، ولكن الحقيقة أن الواقع الغربي وصل سقفًا عاليًا من البحث عن المتعة لدرجة اللجوء إلى المنظمات والحقوقية والقانونية العالمية لتمرير مشاريعهم الشاذة كما حدث مع المثليين والسحاقيات؛ فقد اعترفت بهم وناضلت عنهم حقوق الإنسان وحقوق المرأة ودساتير البلدان الغربية.

فيما يزعم بعضهم أن (الحداثة ليست لا أخلاقية، بل أخلاقيتها تختلف عن مفهوم الأخلاق التقليدية، الأخلاق الحداثية لا تكتفي بأخلاق الضمير الفردي؛ لأن الضمير الفردي على ضرورته لا يكفي ولا يحول دون انتهاك المعايير الأخلاقية، أخلاقية الحداثة هي أخلاقية موضوعية مؤسسية وقانونية، فهي هنا تعني احترام القانون واحترام الآخرين والاعتراف لهم بحقوقهم واحترام حرياتهم)[1].

هذا الكلام من مثقف حداثي يحاول إعادة تشكيل معنى الأخلاق، وحصرها في جانب قانوني ضيق وفي معنى الاحترام.

---

(١) «ملامح المجتمع المغربي»، لمحمد سبيلا.

لكن حتى قيمة الاحترام التي هي قيمة عالية ولازمة في بناء العلاقات المجتمعية لتخطي الأزمة بين عناصر المجتمع الواحد لم تصمد أمام مصداقية المثقف العربي.

كيف؟ سنأخذ على سبيل المثال (ظاهرة التدين) ومظاهر الصحوة التي برزت بشكل لافت ومذهل على خارطة البلاد الإسلامية.

بروز هذه الظاهرة استوجب البحث عن دواعي انبعاثها من طرف التيارات التي كانت على رأس الهرم الثقافي وكانت تتسيد السياسة العربية وتُكثف من خطابها الإعلامي والثقافي والسياسي في تلك البلدان.

ذلك التنامي المبهر لظاهرة التدين كسر أي سقف وضعته النخب الثقافية وتجاوز مؤشر الدراسات والتقديرات، عاد مشهد اللحية والحجاب بكثافة، اللغة الدينية الروحانية، التجمعات.

رغم الحل البوليسي القمعي الذي لجأت إليه بعض الدول ورغم التكتلات الفكرية والإعلامية المساندة له، ورغم التجييش الأمريكي ضد الحل الإسلامي، ورغم حملات التشويه المتصاعدة؛ إلا أن موجات التدين الكاسحة حضرت وبقوة وفي مشهد تخطى منطق الحسابات.

كيف تعامل المثقف التغريبي مع هذه الظاهرة؟ وما هي القيم التي خانها ذلك المثقف وهو يفسر هذه الظاهرة الاستثنائية؟ وهل احترم هذا المثقف حقوق هذه الشريحة التي انتخبت الإسلام؟

- سعد الدين إبراهيم يصف الشاب المتدين بأنه: (المناضل المسلم الساخط)، ثم يكرر: (هو ملتح وساخط أيضًا!!).
- أما العروي فيرجع أسباب التدين لغياب الحرية واغتيال العقل!!
- ويزعم جمال الغيطاني أنها صنيعة السياسة الأمريكية.
- أركون يتهور ويرجع السبب إلى مرض عصابي!
- غالي شكري: (انتشار المخدرات هو باعث التدين)!
- مصطفى حجازي يفسر التدين: أنه بسبب القهر والفشل.
- التلقين النصي هو الباعث على التدين عند رفعت السعيد.
- الجابري ربطها بالنفط الخليجي!!
- الإسلاميون هم زمرة من الحمقى ومرضى جنسيًا عند فؤاد زكريا![1].

---

(١) من كتاب: «الحركات الإسلامية من منظور الخطاب العربي المعاصر» للباحث/ تركي علي الربيعو.

بعد هذا الكم الهائل من التوصيفات اللاأخلاقية واللاإنسانية من طرف هؤلاء المثقفين نتساءل عن قيمة الاحترام المزعومة! وعن حقوق الآخرين وعن قيم كالعدل والأمانة العلمية!

إذن. . القيم التي ينبري ذلك المثقف للذود عنها هي تلك التي تدور حولها أمانيه وتطلعاته، وعن طريقها تتحقق مشاريعه الفكرية.

وعلى الناحية الأخرى من هذه اللغة الهجائية المشحونة ينال كل من يساهم في توسيع دائرة التدين كالفقيه والواعظ والداعية حزمة وافرة من تلك التوصيفات القذرة.

فهو عندهم يقف في صف الحكواتي والساحر كما عند برهان غليون.

وهو الذي يعرف كيف يكتب تعويذة أو حجابًا أو يشرف على جمعية دينية.

وهو صاحب عقلية دوغمائية متصلبة.

وهو فقيه السلطان؛ يتشكل فقهه تحت رغبة السلاطين!

وهو الذي يحتكر تفسير النصوص لمصالحه!

* * *

«الشيخ في الخارطة التغريبية»

أصبحنا مجبرين على إعادة الشيخ إلى قواعده سالما..
(عبد الله بجاد)

عندما قام علماء الأزهر في وقت الخديوي إسماعيل برفض صريح لقانون نابليون الوضعي كبديل جذري عن الشريعة الإسلامية، لم يكن أمام إسماعيل سوى محاولة أخيرة منه لاستمالة الأصوات الرافضة عبر إدخال صوت شرعي ملاين للرغبة الحاكمة.

خطاب شرعي يعمل كوسيط لتمرير القانون الوضعي تحت سرد علل وتبريرات تضفي الشرعية للقرار السياسي، فلم يجد الخديوي أفضل من رفاعة الطهطاوي، قال الخديوي له: «**إنك منهم، ونشأت معهم، وأنت أقدر على إقناعهم أن أوربا ستضطرب إذا لم يستجيبوا إلى الحكم بقانون نابليون**».

أن يعمل العالم الشرعي كرجل جمارك ليشرف ويطمئن على مرور البضاعة التغريبية إلى (الميناء) الإسلامي، وينافح بعد ذلك عن هذا الخيار بأدلة شرعية ومبررات دينية وتأويلات وصيغ يتذرع بها أمام التيار الأوسع الذي وثق بالخطاب الديني؛ هذه كارثة أخلاقية ومنهجية لا بد أن يتبصر لها المتلقي المسلم ويعالجها بدل أن يقع في حبائلها.

(لا شك أن الخطاب الذي يستدل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية أكثر تأثيرًا وقدرة على النفاذ في العقلية المسلمة، لا سيما أنها تشحن النفوس المهزومة بمبرر أمام الفكرة الليبرالية الضاغطة)[1].

هذه الورقة الرابحة تفطن لها المستبد السياسي مبكرًا، فقام الرئيس المصري عبد الناصر وفي خضم صراعه مع خصومه فاستخدم الرموز الدينية والمؤسسات الدينية لإضفاء الشرعية على فكره الاشتراكي العربي، وأمَّم جامعة الأزهر، وسيطر على الرواتب والميزانيات المالية للهيئات الدينية حتى تكون تحت تصرفه.

وكذلك فعل بورقيبة في بدء توليه الأمر، حتى أنه وقف مع الإسلاميين في حملتهم ضد (الطاهر حداد) صاحب كتاب (امرأتنا والشريعة)، كان بورقيبة يخفي ملامحه العلمانية حتى يمتلك رصيدًا ضخمًا من تأييد الشارع التونسي ولو على حساب مبادئ الليبرالية.

وفي المقابل العلاقة بين العالم الشرعي ومجتمع المثقفين هي علاقة توجس وريبة، يحيطها حذر وسوء ظن خاصة من قِبَلِ المثقف، لكن في بعض الحالات يدني المثقف إليه ذلك الشيخ، ويعلي من قدره، ويبارك بعض فتاويه، في حين يسمح لنفسه بإقصاء أكبر عدد من أسماء العلماء والدعاة، ويناضل في سبيل إظهارهم بمظهر الجمود والتخلف والظلامية.

---

(١) «الإسلاميون الجدد» وليد الهويريني، ص١٣٠.

الإعلام التغريبي كذلك إعلام ماكر، وذلك عندما يصف شيخًا وينعته بـ (الشيخ المستنير)، فتحس حروف المصداقية في لغته، وهذا هو ما حدث مع شيخ الأزهر (طنطاوي)، الذي كالوا له كل عبارات التفخيم لموافقة فتاويه لأغلب رغباتهم، بل وصلت بهم الحال إلى تسميته (طهطاوي) بدل (طنطاوي) تيمنا بالرائد التنويري.

وما ذكرناه لا يعني ولا يؤول بالضرورة إلى أن ذلك العالم الشرعي قصد عن وعي الترويج والتسويق للنظام التغريبي، قد يحدث ذلك في النزر اليسير منهم، ولكن الأغلب يتم ذلك منهم عن قلة وعي بالواقع، وقلة بصيرة بالأحداث المعاصرة، وجهل بالجانب الفكري وتعقيداته على الواقع وعدم قراءة لمآلات الفتاوى التي تصدر منه خاصة تحت ضغط الواقع.

العالم الشرعي النابه هو الذي يقدر على رؤية الحدث من عدة زوايا، ولا تثنيه مقولة أن الدولة ستصبغ بالصبغة الإسلامية لمجرد أن حاكمها رضي أن يكتب في الدستور أن دين الدولة هو الإسلام!!! بينما الواقع المعاش يضج بتمثلاته العلمانية الصارخة.

العالم الشرعي النابه لا يعتقد إسلامية الدولة لمجرد أن الحاكم يشهد افتتاحيات الندوات والمؤتمرات بقراءة مجودة من القرآن الكريم.

العالم الشرعي لا بد أن يعي تسارع تحولات المنظومة التغريبية، وتجدد آلياتها ووسائلها، ولا بد أن يتواكب مع تجدد الوعي لدى الجيل الجديد الذي تأثر بالنقلة في وسائل الاتصال الحديثة.

أزعم أن الحل لتدارك الخروج من هذا المأزق هو صناعة (الشيخ المثقف)؛ الذي ارتوى من الثقافة المعاصرة إلى جوار ثقافته الفقهية، وبالتالي بات قادرًا على امتلاك ناحية الإجابة على أسئلة العصر، وإشكالاته الحادثة، وقضاياه المستجدة، وإن لم يستطع الشرعي سد الحاجة الثقافية للسائل فسيطلبها على مائدة المثقف التغريبي، بعدما أصبح المثقف هو وريث الفقيه كما يزعم المثقف العلماني (جورج طرابيشي).

وفي المقابل قد يكون الخطاب الفقهي المتشدد والذي لا يستند إلى أدلة نقلية وعقلية صريحة ذريعة إلى فرار شريحة من الناس صوب الخيار التغريبي، فقد ذكر بعض المفكرين والعلماء كمحمد قطب والطنطاوي في كلامهما عن تحرير المرأة أن تأخر بعض العلماء وتشددهم في إيجاد علاج لبعض الظواهر الاجتماعية في تلك المرحلة كان سببًا غير مباشر في تسارع وتيرة ظاهرة التحلل من الدين عند قطاع من الناس، يقول الطنطاوي:

(لو أن العلماء دعوا إلى تحريرها باسم الإسلام، وضربوا لها المثل الكامل بالمرأة المسلمة، لما تركوا لقاسم أمين مجالا لمقال، ولكنهم سكتوا ورضوا، وجاء أولئك وحرروها باسم الغرب)[1].

ويقول محمد قطب عن بعض العلماء الذين دافعوا عن المرأة في تلك الحقبة: (كان إخلاصهم للتقاليد أعمق حسًا من إخلاصهم للدين)[2].

فغلبة الجهل على شريحة كبيرة من الناس في تلك الحقبة ساعد على انتشار ونفاذ مفاهيم ورؤى تغريبية ونبذ بعض الفتاوى المتشددة أو حتى المتراخية عن التفاعل مع مشاكل مستجدة نشأت في زمنهم.

الفقيه أو (الشيخ) لم يكن بعيدًا عن العبث التغريبي، العقل التغريبي جعله مخرج طوارئ يتخلص من خلاله من بعض المآزق التي يمر بها، العلاقة ليست حميمة بين الطرفين، لكن التغريبي لا يعنيه هذا الأمر، فهو يتعامل بخبث ودهاء مع كل باب يجده مناسبًا للولوج، هي علاقة نفعية بامتياز يصل من خلالها إلى مبتغاه في إظهار هدف من أهدافه التغريبية على أنها حاضرة في الخطاب الشرعي، فيزعم أن الشيخ الفلاني قال بها، وقد يُستخدم ذلك الشيخ في إذابة مفهوم شرعي أو بتجاوزه من قبل التغريبي بذريعة أن الشيخ فلانا أفتى بذلك.

---

(١) «فصول إسلامية»، علي الطنطاوي، ص٩٦.

(٢) «تحرير المرأة»، محمد قطب، ص١٣.

هذا التصرف الممجوج واللاأخلاقي يظهر لك سذاجة العقل التغريبي، فتوافق قوله مع قول ذلك المفتي لا يعني أن المنطلقات واحدة؛ فالأول قد يناله أجر الاجتهاد، والثاني قد يناله وزر العبث وسوء القصد.

في هذا السياق تقرأ لأحدهم قوله: (الطوفي نجم ليبرالي)!!!

على سبيل المثال شاكر النابلسي في كتابه: «العرب بين الليبرالية والأصولية»، جعل من كلام الشيخ سيد طنطاوي شيخ الأزهر حول (جواز القرض الربوي) وثيقة إدانة للفكر المتشدد الذي أطلق التحريم بالربا[1].

العقل التغريبي العابث يمارس هذه الحيل المكشوفة دون استبصار ومعرفة بما تحويه الخزانة الفقهية الضخمة من كيفية التعامل مع الخلاف، ومتى يعتبر سائغا ومتى لا يعمل به، وما هي الأصول المتبعة في هذا الوضع.

وفي ذات الكتاب يسخر من الشيخ (صالح الفوزان) لأنه حكم بكفر الليبرالية، ووصفه بأنه سقط في فخاخ الأسئلة الموجهة له من قبل تلاميذه.

---

(١) «العرب بين الليبرالية والأصولية»، ص١١٠.

شاكر النابلسي وقع في كارثة أخلاقية ومعرفية من الدرجة الأولى عندما اتهم الشيخ (ابن باز) بأنه يفتي بأن المرأة التي تخرج من بيتها فهي زانية! ! ويطبق عليها حكم الزانية!![1].

هذا التهور الفج في خرق القيم الأخلاقية والفجور في الخصومة والجهل ببدهيات فقهية تجاسر على التقول فيها من لا يملك رصيدًا شرعيًا.

وفي سياق آخر ربما تلجأ بعض القنوات التغريبية الشهوانية لاستضافة فقيه شرعي، وهنا تختلف الرؤية لتلك الاستضافة، فربما يتسامح معها البعض ويعتبرونها أمرًا طبيعيًا لا يحمل بين طياته سوء قصد من تلك القناة، لكن لا يطمئن آخرون لنوايا تلك المنظومة الفاسدة من القنوات، يقول الدكتور سعيد بن ناصر: (حينما نجد قناة مشهورة بالإفساد والمضارة لقيم الأمة وأخلاقها ومصالحها تعتني بشخص من الدعاة والمثقفين وتسلط عليه الأضواء وتهتم به، الشيء الذي يخشى منه أن يصبح هذا الشخص رهينة لمن أحسن إليه إعلاميًا وأبرزه، فلا تسله عن الجناية الأخلاقية التي تمارسها القناة كالإفساد المبرمج والتسويق لقيم هوليوود أو الانحياز للمشروع الصهيوني الغربي)[2].

---

(١) العرب بين الليبرالية والأصولية، ٦٦.

(٢) مقال «ما يطلبه الإعلاميون»، مجلة الأمة.

وكذلك في معركة التغريب استخدمت ورقة الخلاف الفقهي كجسر لتغريب المجتمع، لذا فقد وعى المثقف الإسلامي تلك المسألة وكشف الغطاء عن اللغة الماكرة التي يتقنها في عرض وتحليل هذه القضايا، يقول الدكتور وليد الهويريني: (المؤسسات الإعلامية التي تنتسب للفكر الليبرالي تحتج بأقوال فقهية للأزهر والقرضاوي في الشأن السعودي، ولكن عندما تحلل الشأن المصري تقف بكل حماس مع التيارات العلمانية، ترتدي جلباب الشيخ محمد الغزالي في الرياض، وبذلة العلماني المتطرف فرج فودة في القاهرة!!)[1].

* * *

(١) «تحولات الإسلاميين»، لوليد الهويريني.

«التراثيون الجدد»

لا تنوير في تاريخنا، هذه هي الحقيقة..

(محمد المحمود)

التراث:

في الندوة التكريمية لإحياء ذكرى تراث ابن رشد الفيلسوف الحفيد، وهي ذكرى أقيمت أكثر من مرة كمحاولة لإحياء فكر هذا الفيلسوف، وإبراز مواطن العقلانية في فكره، وبعد إحدى الندوات تكلم أحد الحضور قائلًا:

لا نريد ابن رشد الذي يتكلم عنه الجابري!! ابن رشد الذي يعنيه الجابري هو شخص غربي بكل المقاييس!!

قد يستشكل القارئ العلاقة بين التغريب والتراث، حيث يرتبط التغريب بمحاولات معاصرة وحادثة لا يستقيم معها أن تتوسل بالتراث.

لكن العقل التغريبي توسل بكافة الحيل لإحداث علاقة مفتعلة وغير مترابطة بين محاولات التغريب وإعادة غرسها في (البيئة) التراثية!!

حتى تظهر محاولاته بأن لها عمق تاريخي ضارب في جذور الذاكرة الإسلامية، ويقطع الطريق على دعوى أن النظام التغريبي نظام غربي بامتياز.

فمثلا يصر (محمد أركون) على أن (بذور العلمنة كانت قد نبتت في القرون الهجرية الأربعة الأولى، هنالك منحنى علماني عند المعتزلة، ومحنة ابن حنبل هي نوع من الفصل بين الروحي والزمني، وذلك عندما رفض طاعة الخليفة في مسألة خلق القرآن التي تخص العقيدة، كان قد ثبت حدود صلاحيات الخليفة التي يجب أن يلتزم بها، وكما أن العقائد من مسؤولية العلماء)[1].

هكذا يقامر بالأدوات التفسيرية للتراث ويعبث بها تحت دعوى البحث العلمي، وتزهق روح الموضوعية من أجل عدم المكاشفة الحقيقية مع الجمهور.

يستمر العبث مع مثقف آخر هو (فؤاد زكريا)، الذي يصر على أن دعاة العلمانيين المعاصرين ليسوا نسخًا مشوها من المفكرين الغربيين، وإنما هم امتداد لتراث المعتزلة والفارابي وابن رشد[2].

هؤلاء المفكرون تجدهم في مواطن من كتبهم يشتمون التراث

---

(١) «التراث والمنهج بين أركون والجابري»، نايلة أبو نادر، ص٥٢٢.

(٢) «العقل والدين»، أحمد سالم، ص٣٠١.

ويعلنون القطعية معه، ويوجبون الانطلاق من مفاهيم ومبادئ حداثية، لكنهم في مواطن أخرى يتوسلون بأسماء تاريخية كابن حنبل وابن رشد ويلبسونهم ربطة عنق أنيقة بدل عمائمهم التراثية.

المفكر الإسلامي (طه عبد الرحمن) يكشف بمهارة عن أن تكرارهم لابن رشد وتوسلهم الحديث به هو لبث روح العلمانية في نفوس المسلمين، ثم يثبت أن ابن رشد مجرد مقلد (لأرسطو) وللفلسفة اليونانية! إذن نحن أمام عملية إحياء للفكر الأرسطي الغربي تحت غطاء إسلامي بدعوى التنوير والتحديث.

يبين (طه عبد الرحمن) أن تذرع التنويريين بابن رشد يأتي لسببين:

أحدهما – أن الرشدية في القرن الثالث عشر اشتهرت بخروجها عن الفلسفة اللاهوتية للكنيسة، وقد استندت في هذا الخروج إلى فهم علماني لفلسفة ابن رشد، وترجع إلى قول ابن رشد بتكافؤ الحقيقة الدينية والحقيقة العلمية، وأن العمل بإحدى الحقيقتين يغني عن العمل بالأخرى، فصار الرشديون إلى الاستغناء بالفلسفة الأرسطية عن اللاهوت المسيحي.

ثانيها – أن الروح الرشدية مهدت لظاهرة التحلل من الدين في عصر التنوير ثم إلى عصر الحداثة[1].

(١) «حوارات المستقبل» طه عبد الرحمن، ص ١٢٢.

ثـم يقول طه عبد الرحمن: (فقد شـهد المتقدمون والمتأخرون بـأن ابن رشـد مقلد لأرسـطو، بـل ليس في فلاسـفة الإسـلام من هو أشـد منه تقليدا لفلاسـفة اليونان، ولا ينحصر هذا التقليد في شروحه وتفاسـيره وملخصاتـه وجوامعـه على اختـلاف أشـكالها وأحجامها لمؤلفـات المعلـم الأول، بـل إنه يتعداهـا إلى مؤلفاتـه الأخرى، ولا سـيما كتبه الثلاثة المشـهورة، وهـي: (تهافت التهافت)، و(الكشـف عـن مناهـج الأدلة)، و(فصل المقـال فيما بين الحكمة والشـريعة من الاتصال)[1].

دور التراث في حفظ الأمن الثقافي والقيمي دور مشـهود لكونه أحد مصادر القيم الإسـلامية، وبه تتشـكل شـخصية الأمة وتكتسـب مهابة ثقافية بين الثقافات المتعددة.

يقـول الدكتور أكـرم العمري: (التـراث هو الهويـة الثقافية للأمة والتـي من دونها تضمحـل وتتفكك داخليا، وقد تندمـج ثقافيًا في أحد التيارات الحضارية العالمية القوية، وبالنسبة للمسلمين فإنهم يتعرضون لهذا التفكك ويندفعون بقوة نحو التيارات العالمية، ويمكن أن نتلمس أسباب ذلك في طبيعة التراث وفي الإفادة منه وفي القيم)[2].

---

(١) «المرجع السابق».

(٢) «نحو منهجية التعامل مع التراث»، ص١٢٩.

بـل إن محققًا وباحثًا جهبذًا كعبد السـلام هـارون يقول: (وكما جُعل الوطن هو المهد الأول لجسم الإنسان يحن إليه ويحبه، فقد عُدَّ التراث هو المهد الأول لفكر الإنسـان، وأي انفكاك بين المرء ووطنه أو بيـن المرء وتراثه يجعـل منهامرءًا أطراف الضيـاع وفقدان النفس، وهذا مدعاة إلى التفكك والتحلل والشعور بالبؤس)[1].

وفـي المقابل تجد مثقفا كعبد الله العـروي يعلن وبجرأة وتعالٍ أن كل مـا بيننا وبين التـراث قد انقطع، وأن كل ادعاء معرفة به فهو من قبيل الوهم والسـراب، وأن المرجـع الوحيد للمفاهيم هو الغرب وما في الغرب.

جـاءت الدعوة إلـى الاهتمام بالتـراث إثر الهـزات العنيفة التي أحدثها سـطوة الغزو الاسـتعماري المصحوب والمتبوع بغزو فكري على الأرض المسلمة، وكان الهدف منها:

١- إبعاد الشعوب الإسلامية عن تراثها.

٢- إحلال الحضارة الثقافية الغربية محل التراث.

ونشأت مناهج متعددة بعد ذلك في طريقة تناولها للتراث:

١- منهـج احتـرم ووقر وحـرص على هذا التـراث وعمل على الاستفادة منه وحفظ مكانة العلماء الذين شكلوا هذه الخزانة المعرفية والإرث العلمي الباذخ.

---

(١) «المرجع السابق» ص١٢٩.

مع معرفتهم أن قدرا من هذا التراث غير صالح للإفادة منه؛ إما لمخالفته للأصول الشرعية، أو مخالفته للعصر وطبيعته، أو عدم صحته من حيث السند، فقامت مدارس ونهض علماء وبذلت جهود في تحقيق هذه الكتب وتلك الروائع.

١- تيار كانت مهمته تمييع التراث بوسائل من داخل التراث، ومن خصائص هذا التيار اهتمامه بـ (التراث الإلهائي) الذي يشبه إلى حد ما التراث الإلهائي عند الغرب، فعكف أولئك على تصوير وتتبع الأقوال الشاذة والمذاهب المتذبذبة، ثم تطور إلى إحياء تراث قبل الإسلام، فمسلك هؤلاء أنهم يسلطون الضوء على جانب منزو من تراث الأمة على أنه الأصل، وأنه هو السمة الغالبة؛ كتصويرهم العصر العباسي على أنه عصر فجور وخمر بناء على ما ورد في كتاب الأغاني للأصفهاني[١].

لذلك فإن مهمة المثقف التغريبي من النيل من التراث كانت على مستويات:

- تغريب التراث وتسليط الضوء على ما يخدم أهدافهم؛ كالتراث الخرافي، والأسطوري، وتراث الحيرة والشك.
- التشكيك في الجوانب الإيجابية.

---

(١) كتاب: «ندوة نحو منهجية صحيحة للتعامل مع التراث» ص٥١.

- استحضار المستوى المادي وتغييب الجانب الروحي.

ومن أهم المناهج التي توجهت إلى دراسة التراث:

المنهـج التاريخي: وقد بدأ مرحلته الأولـى بالدفاع عن منظومة القيـم الإسـلامية عقيـدة وممارسـة، ولكنـه بعـد ذلـك اتجـه صوب الارتبـاط ببعض المناهج الغربية كالبنيويـة، فأصبح اتجاهًا يدمر نظام العقائد الإسلامية ويستبدل به دينا إنسانيا.

ولهذا المنهج ثلاث مدارس:

(أ) الوثائقية.

(ب) المادي الماركسية.

(ج) البنيوية.

لا يهمنـي فـي هـذه الدراسـة المختصـرة بسـط مباحـث هـذه المناهـج إلا بمـا يتعلق بأصـل موضوعنا، وهو أن كثيـرا من المثقفين التغريبييـن اعتمدوا في زعزعة الثقة بالتراث على هذه المناهج خاصة (المنهج البنيوي)، ومن أبرز رموزه (أركون) و(الجابري)، وقد لاقت مشـاريعهم رواجًا بيـن المثقفين العرب وحفـاوة متناهية، يقول كمال عبد اللطيف:

(فـي الأعمال النقدية لمحمد أركون والجابري ملامح مشـرقة للبعـد الأنواري في فكرهمـا رغم تنوع نتائج أبحاثهمـا، إن إعلاءهما

من شأن التوجه العقلاني النقدي في مقاربة الظاهرة التراثية يساهم في تأسيس جدل عقلاني حول الذات والتراث)[1].

لكن مثقفًا إسلاميًا كـ(شاكر السحمودي) لا تروق له طبيعة هذه المدرسة، ويكشف عن خلل منهجي في تصوراتها الفادحة ونتائج غير عقلانية لا تلائم من رفعها لشعارات مضيئة في بداية الأمر.

ينتقد السحمودي قول أركون: (منهجية نقد العقل الإسلامي تسير في اتجاه الشك المستمر الذي افتتح في القرن التاسع عشر من قبل نيتشه)! فيقول :) هكذا يجد أركون في نيتشه نموذجه الذي يتعالى على النقد متجاهلا أن العقلية البنيوية التي ترفع شعار العلم الوضعي لا تتناسب مع فيلسوف لا عقلاني بالمقاييس العلمية الوضعية، فيلسوف رفع شعار فلسفة القوة التي تعني عنده قتل الضعيف والغريب، ونيتشه هذا فيلسوف عانى من المرض العقلي سنين عديدة ويعاني من نفثات اضطراب عقلي، إلا أن الجامع بين نيتشه وهؤلاء العلمانيين هي (محاربته لقيم الفضيلة والمحبة والمساواة)، إن النزعة النيتشويه في الفكر العلماني هي من العوامل التي تفسر موافقة الاستحالة من الدين)[2].

* * *

(١) «قراءات في الفلسفة العربية»، كمال عبد اللطيف.

(٢) «مناهج الفكر العربي المعاصر» شاكير أحمد السحمودي، ص٨٤.

المثقف التغريبي والمواثيق الدولية

مجموعة من المثقفين السعوديين وأغلبهم يصنفون ضمن التيار الليبرالي، عزموا على إنشاء لجنة أهلية لحقوق الإنسان، ورفعوا خطابًا بهذا إلى معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية للموافقة على تلك اللجنة في إطار وجود المملكة في لجنة حقوق الإنسان، وما يهمنا أنه من بين أهداف اللجنة تلك فقرة تشدد على (ضمان تطبيق وتفعيل المواثيق الدولية التي وقعتها المملكة كالقضاء على أشكال التميز ضد المرأة وحقوق الطفل)[1].

وللأسف يسقط المثقف في فخاخ المصطلحات الملتبسة ويتغافل عن حملها لدلالات تتصارع مع قيم وثوابت إسلامية، كيف؟

تقول خديجة كرار في كتابها «الأسرة في الغرب» أن (من أهم المواثيق الدولية المعروفة (اتفاقية سيداو)، وفي نصوص هذه الاتفاقية التي تدعو إلى حقوق المرأة (أنه إذا تصادم رأيها حول حقوق المرأة مع الدين، فعلى الدين التنحي عن الطريق)!.

بل إن اللجنة (لجنة سيداو) طلبت من بعض الدول الإسلامية علنا أن تسارع بإعادة تفسير القرآن بطرق مقبولة للجنة.

---

(١) «السجين ٣٢» أحمد عدنان، ص٣٧٤.

وتقـول الدكتورة خديجة: بـ«أن موقف لجنة سـيداو من الأديان والثقافـات يمثـل انحيازًا لحركة تريد تدميرا للأسـرة ولا سـيما الفكر الأنثوي الذي يسـعى إلى قلب كامل للمجتمعات عبر تفكيك العقيدة والثقافة والقيم[١]».

في تقرير نشـر عام ٢٠٠٨ من قبل منظمة حقوق الإنسـان تشـير فيه إلى انتهاكات طالت المرأة السـعودية، وألقت باللوم في ذلك على المؤسسـات الدينية، ومعيار الاتهامات تلك تتركز في مسـائل القوامة والولاية والفصل بين الجنسين.

يقـول أحمـد الصويان: (رسـالة التقريـر تتركز في دعـوة المرأة السـعودية والمجتمع برمته إلى التمرد على الثوابت والقيم التي تحقق مبدأ القوامة الشرعية)[٢].

ينخرط المثقف التغريبي في عملية دعائية لفضائل وثيقة (حقوق الإنسان) ويُلح على ضرورة تفعيلها في المجتمع الإسلامي، ويشعرك فـي تمجيده لتلك الوثيقة أنها هي الـرواق الوحيد الذي يصل بك إلى عالـم رغيد يوفـر للمرء حياة تفيض بالكرامة والعدالة والإنسـانية قبل كل شيء.

---

(١) «الأسرة في الغرب»، خديجة كرار.

(٢) مقالة «قاصرات للأبد»، مجلة البيان، أحمد الصويان.

حقـوق الإنسـان اعتبرها البعـض وثيقة غير بريئـة ولا تخلو من بواعث أيدلوجية تحركها، وهي عملية استعمارية، لكن بشكل ملطف هذه المرة، كيف ذلك؟

هـذه الوثيقـة فيها تحييد تام لقضيـة الدين واسـتبعاده عند النظر في بنود الوثيقة، وذلك في مسائل هامة ومركزية كتغيير الديانة وحرية المعتقـد، ومسـألة الـزواج كزواج المسـلمة مـن الكافـر، والعقوبات الدينية كالجلد والرجم، وحتى الختان، وصولا إلى وصاية الأب على ابنته!!

حقوق الإنسـان في نظر الكثيرين ما هي سـوى قناع هيمنة وأداة سـيطرة ووسيلة استلحاق سياسـي وثقافي واقتصادي، بل هي أداة في بعض الأحيان للتدخل في شؤون الدول تحت ذريعة الحقوق[1].

في هذا الإطار من السـيطرة قامت منظمة العفو الدولية بتدشـين حملة تحت شـعار: (إنه جسـدي، إنها حقوقي)، والتي تدعو لتمكين الشـابات والشـباب من اتخاذ قراراتهم الخاصة بأجسـادهم وحياتهم الجنسـية، ونـادت فيهـا المنظمـة عبر صفحـات موقعهـا الإلكتروني بتخليص النسـاء والفتيات من وصمة العـار والتمييز المعارض لمبدأ المسـاواة والذي ينتهـك حقوقهن الجنسـية، هذه الحملـة تندرج في

---

(١) «الأسس الفكرية لحقوق الإنسان»، محمد سبيلا.

نفس السياق العولمي الساعي لفرض رؤية للجسد تختلف عن رؤية الثقافات الأخرى له وعلى رأسها الثقافة الإسلامية، ورغم أن مفهوم امتلاك الجسد وحرية التصرف فيه يعود لعصر النهضة الأوربية بحسب ما ذكره (دافيد لو بروتون) في كتابه: (أنثروبولوجيا الجسد والحداثة) بقوله: «**مثل الجسد مع انبثاق مفهوم الفردية في عصر النهضة ملكية**»، رغم ذلك فإطلاق العنان لرغبات الجسد وشهواته ذو جذور عميقة في الفكر الغربي، واستنادا لتاريخ الأفكار فالتصور الغربي للجسد توزع بشكل رئيس بين اتجاهين مختلفين ومتناقضين فيما بينهما، ومنذ فلاسفة اليونان والعلاقة بين الجسد والروح قائمة على الثنائية ومترددة بين رؤيتين، إحداهما: تحتقر الجسد كما نسب لسقراط وأفلاطون، والأخرى تمجد الجسد كما كان الحال مع فلاسفة الأبيقورية والرواقية.. ولم يترك موقف أرسطو - الذي انتقد الثنائية بين الروح والجسد باعتبارهما وجهين لشيء واحد ولا يمكن الفصل بينهما - أثرا كبيرا في الفكر الغربي، وتداولت هاتان الرؤيتان التأثير في الفكر الأوربي على تفاوت بينهما في سيطرة رؤية وإزاحة أخرى عبر مراحل وسياقات زمنية وثقافية مختلفة، فكانت السيادة في زمن الفلسفة المسيحية للرؤية التي احتقرت الجسد وحاجاته الدنيئة وامتد احتقارها له لاحتقار المرأة مكمن الخطيئة وباعثها، واستمر الأمر كذلك حتى عادت الرؤية الممجدة للجسد فيما بعد لتحتل

مكانة مرموقة لدى فلاسفة العصور الحديثة وأثرت في التصور الغربي الحديث، ودالت السيطرة أخيرا لهذه الرؤية المتمركزة حول الجسد والداعية للإشباع بعيدا عن كل قيد مع نيتشه، وأخيرا مع فوكو الذي اعتبر الأسرة والزواج والمدرسة وآداب السلوك مؤسسات سلطوية تقيد الجسد وتحد من ميله الطبيعي للفوضوية والمتعة والإبداع، ورأى في هذا انتصارا للفكر على الجنس وللثقافة على الطبيعة»[1].

* * *

---

(١) من مقال للكاتبة ملاك الجهني: «إنه جسدي».

«التمويل الغربي»

مثقفون باعة للغرب:

إن العنف الثقافي الذي يمارسه الغرب وخاصة أمريكا لاستئصال المشروع الإسلامي في المنطقة يحتاج إلى (باعة للغرب)، يجندون أنفسهم للدفاع عن أخلاقه السياسية النفعية، والسبب في رأي بعض المفكرين المحايدين في سبب اختيار الغرب لهذا المسار (أن الذي جرأ الغرب على تلك القيم النفعية الجديدة هو ما تنص عليه مواثيقه الذرائعية التي تبوأت المنزلة الرفيعة في دستور النظام العالمي الجديد، لذا لا يتورع الذي بيده القرار ولا يتردد في المضي في درب المصلحة مهما تضاربت مع مرجعيات القيم)[1].

عمالة المثقف التغريبي للغرب باتت مكشوفة، ولم تعد من الأحاديث التي تهمس في الأذن. التحولات المعاصرة في القيم أحدثت انهيارًا بالغًا في مبادئ ذلك المثقف، ظن مسار العمالة محفوفًا بالمكاسب لكنه تناسى فداحة الخسائر المعنوية والقيمية التي سيحظى بها جراء ذلك الاختيار.

---

(١) «الحداثة والعولمة» عبد الوهاب الميسري، ص ١٥٧.

يكشف المفكر المصري (جلال أمين) أن المؤسسات الأمنية في بعض الدول الغربية تستوعب أولئك الصنف من المثقفين، وتستفرغ جهدهم في أعمال تخدم مصالحهم لا مصالح دول أولئك المثقفين عبر مرتبات خيالية ورحلات حول العالم ووسائل راحة[1].

من أهم وظائف هؤلاء المثقفين:

تدليس المفاهيم، والتضليل، والتزييف للجمهور المسلم، مع ما يمتلكون من قدرة على لعب هذا الدور.

ومقابل هذا الدور يحظون بدعم مستمر في الغرب على شكل:

١- نشر أعمالهم في شرح الإسلام المعتدل.

٢- إعطاؤهم مناصب شعبية.

٣- تقديم آرائهم في مناهج التربية الإسلامية.

٤- تنمية المنظمات المدنية لدعم الثقافة المدنية.

٥- مشاركة المثقف التغريبي في ندوات ومؤتمرات عالمية؛ لإقرار وترسيخ مواثيق ومعاهدات الأمم المتحدة التي تخالف المرجعية الشرعية وتحجم من فاعليتها، تلك الندوات التي تقع تحت دعم منظمات حقوق الإنسان وتحضرها أطراف دولية يصدر عنها لزوم تبني منظومة حقوق الإنسان التي وضعت على أساس بشري

(١) «المشرق العربي والغرب» جلال أمين، ص ١٥٢.

علماني كبديل عن المنظومة الإسلامية التي يزعمون أنها استمدت شرعيتها من السماء، فبالتالي هي إلهية لا بشرية، وهي واجبات لا تكاليف.

٦- التوظيف الأخلاقي للحرب أو الغزو الذي يقوم به الغرب بوصفه عملا تحرريًا لتخليص بلد ما أو شعب معين من نير الاستعباد أو السلطة الديكتاتورية، وهذا التوظيف يقوم المثقف التغريبي لإضفاء الطابع الأخلاقي على الخطاب السياسي الغربي في سبيل ما تدعيه من قيم الحرية والسلام.

بل وصل الحال ببعضهم إلى تشجيع الانقلابات العسكرية الدموية على التيارات الإسلامية التي وصلت للسلطة كما حدث في تركيا والجزائر وأخيرًا مصر.

«قام مفكرون إسلاميون بفضح ورصد العلاقة بين الاستعمار وهؤلاء العلمانيين، فالعلامة محمود شاكر فضح لويس عوض وأثبت ارتباطه بدوائر الاستعمار في كتابه (أباطيل وأسمار)، وجلال كشك فضح ورصد العلاقة المريبة بين الأحزاب الشيوعية المصرية والصهيونية وإسرائيل)، حتى قال: «واعترفت نوال السعداوي بأن مؤسسة فورد الأمريكية وجمعية نوفيك الهولندية هي من مول مؤتمرا عقد ١٩٨٦م»[1].

(١) هل يكذب التاريخ؟ لعبد الله الداوود.

ظاهرة التمويل الغربي للمثقف التغريبي تضخمت في الفترات الأخيرة وتوسعت رقعتها، وامتدت أذرعتها بكل مرونة لتجذب أكبر عدد من أولئك (الخونة) الذين اعتنقوا مذهب الدينار والدرهم وكفروا بالولاء لأوطانهم وقبل ذلك قيمهم.

(المثقف الخائن) اعتاد أن لا يخفي شماله حتى ترى ما تقبض يمينه، وقد يبسط كلتا يديه أمام أموال الممول الغربي الذي بات يتفنن في تجنيد أكبر عدد ممكن من ذلك الفصيل، الجموح المتنامي لدى الغرب لم يتوقف عند مجرد مفاوضات سرية، بل وصل الأمر إلى أن وزارة الدفاع الأمريكي أنشأت مكتب التأثير الاستراتيجي ودعت خمسين سيدة عربية كحملة للتثقيف لتولي مهام قيادية في عملية التغيير الجديدة.

ومن أبرز مؤسسات التمويل:

١- مؤسسة فورد.

٢- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

٣- مؤسسة روكفلر الأمريكية.

٤- مركز جنيف للرقابة.

أما صور شراء الفكر الغربي فيأتي لمصلحة:

١- قضايا الأمن القومي وجمع المعلومات.

٢- الاقتراب من صناع القرار.

٣- قضايا المرأة.

٤- التلاعب بالثوابت.

وكذلك من ضمن المشاريع التي سعت إليها تلك المراكز:

١- إنشاء منظمات المجتمع المدني التي لن تشجع قوانين الشريعة الإسلامية التي يريدها المتشددون، وأن الحداثة لا تتماشى مع عقوبة القتل والزنا والجلد، ولا مع الفصل بين الجنسين.

٢- الإسلام المعتدل: قامت وزارة الخارجية الأمريكية بإعداد وتدريب الوعاظ والواعظات وصرف أكثر من (٥٣٠) مليون دولار.

تفكيك الخطاب المتصهين:

سئل عدد من المثقفين الأمريكيين الذين يملكون خطابًا فاعلا في المجتمع الأمريكي عن موقفهم من إسرائيل؟ فجاءت أجوبتهم مليئة بالصراحة والمكاشفة، وأعربوا عن حبهم لهذا الكيان، ويطمعون له بوافر الاستقرار وتمام التمكين والغلبة على خصمه.

المثقف الأمريكي لا يجد غضاضة في البوح بمشاعره، ولا يعدها تطرفًا وركضًا منه نحو عدم التعايش، ولا يعتبرها ظلمًا للطرف الفلسطيني.

المثقف الأمريكي لا يؤنبه ضميره ولا تدفعه أخلاقه، بل تحكمه شروط اللعبة السياسية والاقتصادية، فهو مدين للثقافة الأمريكية وللسياسة النفعية، ولا ينفصل عنها بحال.

المثقف الأمريكي صاحب ذاكرة قصيرة، لا يستطيع معها تحديد الموقف؛ من الغالب القاتل الغاصب؟ ومن هو المغلوب المغصوب الذي ينتظر كلمة عدل تقال في حقه؟

لكن قيمة العدل أيضًا افتقدناها في خطاب المثقف التغريبي الذي استرسل في ذات المسار خلف رغبة السياسي والمثقف الأمريكي، وثبت ذلك بجلاء أثناء معركة غزة الأخيرة ٢٠١٢م مع العدو الصهيوني، حيث انبرى كوكبة من الكتاب الذين رضعوا اللبن الأمريكي واستبسلوا في تشويه حراك النضال الفلسطيني، وحملتهم مشاعر الكراهية على مؤازرة خالية من قيم الشهامة والمروءة وممزوجة بحبر الازدراء والتنقص، وتحاول إلصاق التهم بحركة حماس وأنها المسؤول الأول عن تلك الصراعات، لذا قاوم المثقف الإسلامي الغيور[١] تكتلًا أطلق عليه اسم (الخطاب المتصهين)، وجمع حروف الإدانة التي قادتهم إلى قضاء الإعلام الجديد (تويتر) والحكم بشناعة جناياتهم دون استتابة أدبية، فبعض الجرم لا تتطلب فيه الاستتابة.

---

(١) أطلقها الدكتور أحمد بن سعيد عبر تويتر.

ومن سطورهم الجائرة التي كتبوها:

- قادة حماس يُخربون بيوتهم بأيديهم (عبد الله بجاد).
- حماس افتعلت معركة مع إسرائيل ولا تعدو أن تكون معركة بين فيل ونملة (الراشد).
- بينما اتهم الذايدي حماسا بالابتزاز العاطفي.
- التأثير الإيراني هو الذي حرك صواريخ التنك (الحميد).
- حماس جماعة أصولية لا تكترث للخسائر الإنسانية (الطريفي).

خلف هذه الأحرف المتصدعة بقذائف الهزيمة والمصابة بداء الانكسار يحتاج القارئ أن يملأ جوفه بقيم العزة والتمكين والوفاء، فالجسد الواحد في الإسلام ليس شعارًا ظرفيًا يُرفع في وقت دون آخر ويوظف في قضية دون أخرى، ولكنه أصل ديني أخلاقي يتناغم فيه رجل المغرب مع رجل أنقرة وتتعاضد نساء الأفغان مع نساء الشام.

الخطابات التي تستأصل قيم الشرف والعزة والقوة والعلو خطابات تشعر بالعزلة في زمن الاجتماع، ويساورها القلق في حقبة الاطمئنان، ولن تجد لها راية تنضوي تحتها.

❃ ❃ ❃

«سطوة النقد»

في سياق ثناء العديد من المثقفين التغريبيين على رزنامة القيم المعاصرة التي ضخها الغرب عبر أنابيبه الثقافية في مزرعتنا تأتي قيمة طالما احتفى بها التغريبي وتحدث عنها في لغة تفخيمية وقورة، وهي (قيمة النقد).

وهذه القيمة هي من القيم التي طوتها ذاكرة النسيان المتغربة، أو هكذا أريد لها، أو لأن ذاكرة المتغرب قصيرة فلن تحيط بمكانة النقد في تراث المسلمين.

النقد كان حاضرًا وبقوة في الحقل الإسلامي يتناوله الفقهاء في تصانيفهم والمحدثون في تراجمهم عند التجريح والتعديل، والمفسرون عند الترجيح بين الروايات، ولن تعدم المئات من الأمثلة على ثراء التراث الإسلامي بهذه القيمة المهمة.

لكن النقد بالمفهوم الغربي يعتمد على مفاهيم أخرى غير التي ذكرت؛ فهو يعتمد على (تصيد الأخطاء)، و(تضخيم الزلات)، و(افتعال الخصومة)، و(تهويل الحالات الشاذة).

المثقف التغريبي لديه هوس عجيب بالنقد على الطريقة الغربية، فالنقد لديه يقوم على تهميش الإيجابيات للتراث الإسلامي والفقهاء والعلماء، وكذلك الحركات الإسلامية المعاصرة، وفي المقابل تجد جرعة عالية وفائضا مرتفعا من تبني السلبيات وتهويلها ودعوى أنها سمة غالبة، فالتدين هو تسخط وعزلة وتكفير للمجتمع، والزواج هو إهانة وقمع وتقييد للمرأة، والدعوة للإسلام هي دعوة سياسية مخادعة، والتاريخ مجرد صراعات دموية، والتراث هو خزانة من الخرافات الصوفية.

على سبيل المثال.. يقول البليهي عن الحركات الإسلامية: (الحركات الإسلامية مهما تعددت تختلف فقط بالشعارات والأسماء، لكنها تتفق بالرؤى والمنطلقات؛ فكلها تؤمن برؤية أحادية مغلقة، وكلها ترفض النقد)[١].

والرجل المتدين عند مثقفة أخرى: (هو الذي حول المرأة إلى مفهوم جسدي ويدفعه الشبق الجنسي إلى التزوج من أربع)[٢].

النقد بهذا المفهوم الذي يفتقد لقيم المصداقية والتوازن والإنصاف يذهب بنا إلى ركن الإثارة، أي الغاية من النقد لم تكن التصحيح، وإنما إثارة القارئ لطرف على حساب طرف آخر، والإثارة هنا هدف ومطمح تستشرفه الثقافة الغربية والمتغربة معًا.

---

(١) حوارات البليهي.

(٢) نوال السعداوي.

وكذلك الثقافة داخل أروقة التلفاز والإنترنت والصحف والمجلات تتقوى على زاد الإثارة؛ (إثارة في الصورة الفاتنة، إثارة في الأغنية الماجنة، وإثارة كذلك في الرواية الخليعة، وإثارة في رسوم (الكاريكاتير)، وإثارة في متابعة تفاصيل دقيقة في شؤون المشاهير وعرضها على الناس.

وإثارة في العناوين؛ فسقف الإثارة لا بد أن يرتفع في زمن إعلامي مكشوف، ويتهافت الجميع على كسب رضا المتابع.

وكذلك هذا النمط من النقد يقوم على مبدأ الصراع والكيد بالآخر لا النصيحة والرحمة، وبهذا يكون المجتمع الغربي قائما على قيم الصراع والتنافس المسعور، وعلى التعاقد لا التراحم كما يقول عبد الوهاب المسيري.

يقول جعفر إدريس: «إن الحضارة الغربية هي التي تدفع الآخرين لمعاداتها حين تعمل على الوقوف في طريق التطور الطبيعي لغيرها، وحين تعد كل ما عداها خطرًا عليها»[١].

الصراع مع الإسلام ومحاولة ترويضه لتحصل على إسلام لطيف وملائم للثقافة الغربية، والصراع مع الإنسان والدفع به وبضراوة ليبقى وحيدًا دون مرجعية تفترسه العشرات من التيارات المنحرفة والمئات

---

(١) «صراع الحضارات»، لجعفر إدريس، ص٤٢.

من الإعلانات المغويـة، والصراع مع المجتمعات لتنميط حياة ثقافية واحدة.

«إن التنافس الليبرالي يستبدل مكان التنافس على القيم الروحية التي تعلو بالهمة مثل (العمل الصالح) و(البر) و(الإيثار) و(التراحم)، التنافـس علـى القيـم الماديـة مثيـرًا فـي النفـوس والغرائـز والأهواء والشـهوات كالجشـع والطمع والأثرة والإسـراف والكيد، حتى نزل هذا التنافس الشرس بالإنسان إلى رتبة السلع»[1].

* * *

(١) «سؤال العمل» طه عبد الرحمن، ص١٧٠.

المكون الديني والفكري

من الشعارات التي يغلو فيها المثقف التغريبي في كل سجال حول القيم والمفاهيم الغربية تجده مولعًا بحيادية تلك القيم، وأنها مصطلحات إنسانية وخالية تمامًا من الجذر الديني والفكري، وبالتالي لا خوف على الفضاء الإسلامي من تلك المفاهيم أن تعمل وتتفاعل مع العقل المسلم دون مصادمة أو تعارض مع المفاهيم الدينية، فهل هذا الكلام صحيح؟؟.

يستنتج طه عبد الرحمن (أن الفلسفة الكونية التي تدعي العالمية ليست سوى فلسفة قومية مبنية على التراث اليهودي المُسخر لأغراض سياسية أو على اليهودية المسيحية)[1].

المثقف الغربي (برتراند رسل) الذي كتب (لماذا لست نصرانيًا؟) يعترف في كتابه (الحرية والتنظيم) بأن الحريات والديمقراطية إنما نالت قوتها وتأثيرها على النفوس من التدين والعدل البروتستانتي).

ويقول الفيلسوف الألماني هابرماس: (إن النصرانية لا غيرها هي الأساس النهائي للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وهذه هي أهم معايير الحضارة الغربية).

(١) «أعلام الفكر العربي»، للسيد ولد اباه.

ويعتـرف فوزي كريم فـي كتابه (تهافت السـتينيين): أن الأفكار العامـة التي ادعتها أوربـا مثل العقل والعلم والتقـدم والديمقراطية ما هي إلا أسـلحة ثقافية محددة صيغت لسـلب غيـر الأوربي الآخر من تحيزه عنهم.

ويقـول إدوارد سـعيد بـأن القيـم الغربيـة تحمـل خلفهـا بُنـى أيديولوجية (فكرية)..

المثقف الغربي (راز ينغر) يقول: يعتبر أن الثقافة الغربية هي في آن واحد بنت الديانة المسيحية والعقلانية اليونانية).

بعـد هـذا السـرد لأقاويـل ثلـة مـن المفكريـن، منهم مـن ليس بإسـلامي، ومنهـم من هو غربي الأصـل، لا يجدر بمثقـف أن يتغافل عن مثـل هذه الحقائق ويمارس غواية مكشـوفة للفصـل بين الجذور والمكـون الديني وبين مفاهيم معاصرة ويسـعى لترويجها دون خجل في محيط إسلامي.

سـيأتي من يحـاول رفض الجواب السـابق بدعـوى أن من عمل على إنشـاء تلك المفاهيم والقيم أناس ملحدون علمانيون لا يحركهم الباعث الديني، لكن عبد الوهاب المسيري لا يروق له هذا الاستشكال فيقول: (هم فعلا ملحدون وعلمانيون، ولكن يجب أن ندرس أعمالهم بدقة، وسنكتشف أن نموذجهم الفعال ليس ماديًا مصمتا).

هنا تكمن صعوبة المهمة وسطحية التناول في ذات الموضوع، هنالك نموذج فعال أو ما يسمى (العقل اللاواعي) يسيطر على ثقافة ولغة أي مفكر ومثقف، فكما قيل: (هوية المثقف تكمن في انتمائه العقائدي).

وعلى الناحية الأخرى يُشن هجوم غير مبرر على المثقف الإسلامي الذي يتحدث عن «أسلمة المعرفة»، وإلى فحص التراث لإبراز إنجازات سبق إليها المسلمون الغرب، فيأتي فصل جديد من فصول الازدراء لذلك الجهد الإسلامي المبذول على لسان المثقف الليبرالي.. فيوصف بـ (التشبيح الأيديولوجي) و(السطو على المعارف) و(لا يملك حياء خلقيًا) أو (تقي فكري) ويوصف بـ (النرجسية الثقافية).

هذه البراعة في إعداد قائمة من النعوت اللا أخلاقية من أجل محاولة شريفة ونبيلة من قبل الإسلامي لإظهار مقارعة العقل الإسلامي للعقل الغربي لا تحمل سوى معنى واحد؛ وهو الانتقال من موقع (التابع للحضارة الغربية) إلى (موقع المحامي الشرس عن تلك الحضارة).

الحيل التغريبية

١ - التغريبي يعمد إلى الإعلاء من شأن قيم على حساب قيم أخرى؛ كالإعلاء من القيم الحقوقية ونعتها بترسانة من أوصاف الثناء وشعارات المديح وجعلها هي أصل القيم ورأس الأولويات، وقد يغلو الشأن ببعضهم فيزعم أن الدين الإسلامي ما جاء إلا لترسيخ هذه القيم فقط.

٢- تهميش فاعلية القيم الأخلاقية في حياة الناس وتصوير أن الطائفة التي تبني حول أفرادها سياجًا من الممانعة الأخلاقية لمنع عبور المحرمات بأنها تحمل ثقافة هشة تخاف عليها من الانهيار، لذلك تلوذ بالانزواء والانعزال.

٣- يرفع شعار (النسبية الأخلاقية) ونسف الثوابت الأخلاقية بمعول تلك النسبية التي ليس لها ضابط محدد ومعلوم ومتيقن، بل هو حيلة نسقية تدعي أن ما كان فضيلة في زمن لم يعد كذلك في زمن آخر بحجة أن المجتمع المتحضر لم يعد ذلك المجتمع الريفي البسيط، وأن المجتمع الآن هو من يقرر حزمة الأخلاق التي ينضبط بها ويناضل عنها.

٤- يدعي أنه يتحرك ضمن إرادة مستقلة وذاتية منه في نشر تلك القيم، والحقيقة خلاف ذلك؛ حيث إنه يُدار من نهايات طرفية تتصل بمراكز القرار الأمريكي.

«تشويه القيم عند التغريبي»

في إطار الصراع القائم حول منظومة القيم ستفاجأ أن كلا الطرفين هو (يطالب) بالقيم وحمايتها والاهتمام بها، ولكن سيزول هذا العجب وتختفي آثار الدهشة وتعود نفسك إلى طبيعتها عندما تعلم أن الكثير من تلك المصطلحات تعرضت إلى فصول من التشويه وإفراغ من معناها وإعادة حقن بمعان جديدة، فمثلًا:

١- **الحرية** تحولت من معنى أصيل ويحمل دلالات بالغة الإنسانية إلى معنى مشوه وإلى مرادف للشذوذ الفكري والسلوكي في مجالات الفن والأدب والإبداع، وارتبطت بالعبث والتماجن وإهدار مقومات المجتمعات والاستهزاء بقيمه ومبادئه.

٢- **التسامح**: من المعاني التي مالت إليها رياح التغيير، فتحولت من معناها الأخلاقي بتنازل الفرد عن من ظلمه في حقه الخاص إلى معنى علماني معاصر إثر الصراعات الدموية التي عصفت بالحياة الأوربية بين الطوائف الدينية هناك، فحقن الدماء لم يكن ليتم دون إشهار معنى التسامح الذي صار معناه: (أن تحترم الشخص المخالف لك في عقيدته وفكره وسلوكه وأن لا تتعرض له بالتخطئة أو وصف مذهبه بالضال أو بالباطل؛ وهذا يعني أن يكون الأفراد داخل الدين

الواحد متسامحين مع مخالفيهم، ولكل إنسان أن يفهم دينه كيف يشاء، وأن كل دين يهدي إلى الحق بطريقته)[1].

٣- **الليبرالية**: هي مذهب اقتصادي يحرر الاقتصاد من القيود التي فرضت عليه، أو هو إعادة قراءة الكليات الدينية على ضوء النفس التحرري الذي يتوافق مع المقصد العام للإسلام كما يدعي (شاكر النابلسي).

٤- **العلمانية**: ليست ضد الدين؛ بل هي تحمي الدين من أن يشغل، حيث تقف موقف المحايد من الأديان، وهي عصرنة الحياة ومواكبة المجتمع المدني.

* * *

---

(١) صراع الحضارات، جعفر إدريس.

«اعترافات التغريبيين»

عـرف التراث العقدي عددا من العلماء الذين باحوا بتراجعاتهم واعترافاتهم في آخر أعمارهم والعودة إلى طريقة السلف، وثقت تلك التراجعـات ونالـت قدرا كبيرا مـن الأهمية من قبل كافة الفرق سـواء الموالية أو المخالفة.

فـي المسـيرة التغريبيـة هنـاك نوع مماثـل من تلـك الاعترافات والتراجعات التي تنوعت أسـبابها من مثقـف لآخر، وكذلك اختلفت طبيعـة حال المثقف بعـد البوح بها؛ فمنهم من ثابـر على نفس منهجه ولم يثنه الاعتراف عن مراجعة حقيقية لتعديل مساره الفكري.

١- النموذج الأول:

(محمد حسنين هيكل). . كان من كبار حركة التغريب في زمنه، قال في شهادة تراجعه: (إن وزارة المعارف تخضع اليوم وأمس وغدًا وبعد غد للسياسة الغربية والحضارة الغربية)، وقال: (وهذه الحضارة استعمارية عـدوة للعلـم، وهـي كذلك حيثمـا ذهبت حاربـت العلم وحاولـت حصـره في طبقـة ضيقة لتتخذ مـن هذه الطبقـة بطانة تروج للاسـتعمار)، هـذا النمـوذج يعبر وبجلاء عـن الهيمنـة التغريبية على مسار التعليم، وأهميتها تنبع من أنها جاءت من مثقف ساهم وبفاعلية في تلك الهيمنة.

٢- النموذج الثاني:

عندما تعرض (محمد أركون) إلى سياط الإعلام الغربي خاصة الأوربي منه، وتعرض لحالة من الاضطهاد والظلم كما يصورها هو جراء نقده لـ (سلمان رشدي) صاحب الآيات الشيطانية. . شعر أركون بحالة النبذ والاستبعاد، فدفعته تلك الغربة الثقافية إلى نوع من الاعتراف حيث كشف أن (الحداثة مجلوبة من الغرب)، (وأنها أدخلت بشكل عدواني وفج وتفكيكي إلى المجتمعات العربية والإسلامية)، ثم يعترف تباعًا بموقف الغرب الكاره للإسلام وأنه يركز على إظهار الإسلام بصورة مشوهة وكأنه دين إرهابي يهدد الغرب[١].

٣- النموذج الثالث:

جاءت على لسان قاسم أمين، وذلك في خاطرة كتبها في مفكرته نشرها أحمد لطفي السيد، يقول: (والحقيقة المجردة عن الأوهام والأغراض أن كل ما وجد في مصر من الحرية والنظام والعدل لم يوجد ولم يستمر إلا بعمل الأجنبي وعلى رغم أهلها)[٢].

---

(١) «الإسلام وأوربا الغرب» محمد أركون، ص١٨ وما بعدها.

(٢) «من النهضة إلى الردة»، جورج طرابيشي، ص ٣٤.

٤- النموذج الرابع:

ذكر (عبد الإله بلقزيز) في كتابه (العولمة والممانعة) أن كثيرا من المثقفين العلمانيين عندما يجلسون مع المثقفين الغربيين على مائدة واحدة فإنهم يضطرون للدفاع عن الثقافة الإسلامية، بينما يمارسون في أوطانهم حالة مفرطة من النقد تجاه عقيدتهم وثوابتهم.

٥- النموذج الخامس:

نجيب محفوظ في مرحلة متأخرة من حياته يكشف عن آرائه حول ضرورة اعتماد الإسلام كحكم، وأن الدين ضروري لتطور الدول العربية، وأن الصحوة الإسلامية ظاهرة إيجابية، ويعترف أن الشيوعية هي العدو الأول للإسلام، هذا هو نجيب محفوظ الذي سخر معظم رواياته لرمي الإسلام بكل نقيصة، ها هو الآن يتراجع ويعترف هنا عن حقائق أخرى مغايرة[١].

٦ - النموذج السادس:

محمد حسين هيكل.. يقول: (لقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية؛ لنتخذها هدى ونبراسًا، لكنني أدركت بعد لأي أنني أضع البذر في غير منبته! !).. حتى قال: (فرأيت أن تأريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر).

---

(١) «رأيهم في الإسلام» باربولسكو، ص٩١.

أهمية معركة القيم

بعد المضي في هذه الدراسة اليسيرة يهتدي القارئ إلى حشد من التصورات حول صراع القيم بين رؤيتين وثقافتين مختلفتين، وهي دعوى الكونية والعالمية التي ظل المثقف التغريبي يحاول أن يلبسها على القيم التي يجاهد لتحريرها والتي لم تعد حيلة آسرة للعقول في هذا الوقت، لكن أحببت أن أشير إلى الدور الذي يلعبه ذلك المثقف مع القيم، هل كل القيم تنال منه نفس الدرجة من التعامل والترحاب وتعثر عليها في معجمه الخاص ويناضل عنها؟ حسنا. . لنرى الآن:

١- ستجد أن هناك قيما حاضرة وبكثافة؛ كالحرية، والمساواة، والنقد، والتعددية.

٢- ستجد أن هناك قيما غير موجودة أصلا وظلت مهجورة على لسان ذلك المثقف؛ كالسمو الروحي، والحشمة، والعفة.

٣- ستجد أن هناك قيما صُرفت عن معناها وأعيد حقنها بمعان جديدة؛ كالتسامح.

٤- ستجد أن هناك قيما قيدت وحصرت على معان ضيقة؛ كالاحترام والعدل، والرحمة.

٥- ستجد أن هناك قيما سذجت وشوهت؛ كالقيم الأخلاقية.

٦- ستجد أن هناك قيما جُحدت من المنظومة الإسلامية؛ كالنقد.

٧- ستجد أن هناك قيما بولغ فيها؛ كالطاعة في التراث الإسلامي.

٨- ستجد أن هناك قيما ليست بقيم؛ كالديمقراطية.

* * *

«نموذج أصيل»

«طه عبد الرحمن. . ولد سنة ١٩٤٤، فيلسوف مغربي معاصر، درس الفلسفة في المغرب وفرنسا، وتخصص في فلسفة اللغة، ويمكن اعتبار طه عبد الرحمن المفكر المسلم الوحيد المعاصر بعد (محمد إقبال) الذي سلك مسلك التجديد من الباب الفلسفي»[١].

طه عبد الرحمن صاحب دعوة صريحة إلى نقد العقلانية الغربية؛ لا طلبًا في النهوض بواقع العالم الإسلامي فحسب، بل إلى أعلى من ذلك. . إخراج الإنسان من مأزق الحضارة الغربية، من مضايق الغرب المعولم.

يذهب طه عبد الرحمن إلى أن المآلات المظلمة والموحشة التي انطلقت لها الحضارة الغربية وتآكلت معها قيم الإنسان كانت بسبب الإيغال في العقلانية والذاتية الإنسانية المطلقة، ويجد أن الحل في أن تلك الذات تحتاج إلى تحصيل (المعية الإلهية).

ويدعو طه عبد الرحمن بضرورة الانتقال من (سؤال التغيير) إلى (سؤال التعمير)؛ حيث إن الثقافة الغربية تبحث عن الحلول من زاوية التغيير، فهي تنزع القداسة من الرجل لتضعها على المرأة، وتنزع

(١) «أعلام الفكر العربي»، السيد ولد أباه.

القداسـة من الدين وتضعها على العلم، ومن تقنية إلى أخرى، وهكذا في حلقات مترابطة لا تنتهي إلا إلى جواب متكرر، بينما المخرج هو: (سؤال التعمير).

ويرى طه عبد الرحمن أن النمط الحديث يقوم على أصلين:

١- لا أخلاق في العلم.

٢- لا غيب في العقل.

والبقـاء علـى هذيـن الأصليـن ممـا أورث أزمـات متواليـة في المشهد المعاصر، والبديل هو: (**نظرية التعبد**).

يفـرق طه عبد الرحمن بين المواطنـة التي تتوق الدولة الليبرالية لتحقيقها على أنها جملة من القيم السياسـية الوضعية التي تهدف إلى تقوية الشـعور بالانتماء للمجتمع أو للدولة، وهو أمر محمود في حد ذاته، ولكنه يظل سلوكًا دنيويًا خالصًا.

بينمـا يدعو هو إلـى (المخالقة)؛ وهي عبارة عن جملة من القيم الكلية التي فطر الله الإنسان عليها، وقد تتفرع عليها قيم أخرى وتقوم مقـام الميـزان الـذي توزن بـه القيـم الوضعية، فالإنسـان أحـوج إلى المخالقة منه إلى المواطنة.

يـرى طـه عبـد الرحمـن أنـه لمـا خلـت الحريـات (الليبراليـة والجمهورية والديمقراطية والاشـتراكية مـن ركن التعبد لله وصارت

حريات ناقصة واهمة، فإن الإنسان إما أن يتعبد للحق أو يتعبده الخلق).

ويرى أن الفرد لا يكون له من الإنسانية إلا بقدر ما يتصف من الأخلاق المستمدة من الفطرة التي خلق عليها وسماها (التأنيس)، وعندما أجدبت فيه تلك القيم الفاضلة أدى إلى «أن التنافس الليبرالي يستبدل مكان التنافس على القيم الروحية التي تعلو بالهمة؛ مثل: (العمل الصالح)، و(البر)، و(الإيثار)، و(التراحم) التنافس على القيم المادية مثيرًا في النفوس والغرائز والأهواء والشهوات كالجشع والطمع والأثرة والإسراف والكيد حتى نزل هذا التنافس الشرس بالإنسان إلى رتبة السلع».

أن التعبد لله هو الذي يستطيع أن يُحرر الفرد من شهوة السوق فضلا عن شهوات الاستهلاك المسرف، فإذا كانت شهوة السوق تملك عليه مجامع قلبه، فإن هذا العمل يجعله يجاهد نفسه في أن لا يملكه شيء.

ويرى أن الحرية الديمقراطية لم تنقص نفسها فحسب، بل تعرضت للبتر الأخلاقي بموجب مخالفتها لقانون التأنيس، ويتجلى ذلك في قيامها على (مبدأ التعاقد الاجتماعي)، فنظريات العقد الاجتماعي وإن اختلفت في مبادئها ونتائجها فإنها على الجملة

اتفقت على فكرة أساسية وهي أن الإنسان لم يكن مفطورًا على الحياة الاجتماعية.

وحدد طه عبد الرحمن أن إشكالية العلمانيين أنهم يتعاملون مع القوانين المنزلة كما يتعاملون مع القوانين الموضوعة، ولا بد أن ينظروا لها على أنها قوانين معقولة ضابطة للمجتمع وحاكمة على مواطنيه متى أعلنوا اختيارهم لها كما يختارون قوانينهم الوضعية، فتحصيل الاختيار مقدم على تحصيل الوضع.

وهو يُعرِّف العولمة أنها عبارة عن انتشار تسليعي في العالم يوصل إلى الإخلاد إلى هذا العالم المرئي عن طريق القيم التالية:

١- الحرية المتسيبة.

٢- التنافس المفترس.

٣- الربح المتوحش.

٤- الأنانية المفرطة.

٥- القوة المستبدة.

٦- المادية المنسقة.

وأن هذه العولمة التي تؤدي إلى تسليع الإنسان لها سمات محددة:

١- إهدار كرامة الإنسان.

٢- الخلو من القيم المفرطة.

٣- إطلاق العنان لحرية الفرد.

٤- الاستغراق في الأنانية.

٥- الاستبداد بالقوة.

٦- التمسك بالمادية المنسقة.

العـلاج يكمن في نظره بأخذ قيم تحقق (التزكية الخُلقية) مقابل التنمية الاقتصادية، ومنطق العطاء مقابل التبادل، وقوة الإيمان بسلطان الخالق مقابل التعلق بقانون المادة.

هذه رؤية مجملة ومقتضبة لمثقف إسـلامي تحققت فيه سمات الصنعة النقدية والفكرية والاعتزاز بمرجعيته الإسـلامية وسعة اطلاع بالمـادة الفكريـة المعاصرة وبحـث عن علاج وجـذر المآزق، وليس مجرد حلول سطحية ورؤية عالمية للعالم أجمع.

* * *

«توصيات المثقف الإسلامي»

١- مزيد من الالتزام:

الروح العلمانية المادية صريحة في إغواء الإنسان المعاصر، وهي تؤسس لنفسية استهلاكية دنيوية تهون من شأن المحرمات وتنزع الاعتبار عن كثير من القيم والمعايير الأخلاقية، وحتى نحمي الشباب من هذا الطوفان الجارف لن يكون هذا إلا بالمزيد من التعبد والتعلق بالله وإحداث تيار روحي وتعبدي يستصغر تلك القيمة الدنيوية وبهرجتها الفانية.

٢- مزيد من التفوق:

لسد الفجوة الحضارية بيننا وبين الغرب ليس لنا سوى التفوق في المجال العلمي والتقني من خلال تعليم وتدريب أعلى وأحسن.

٣- التحول من التأثر إلى التأثير:

وذلك بالاهتمام بالشأن الخاص إلى الاهتمام بالشأن العام، ومن الصلاح للإصلاح، ومن الخطاب المحلي إلى الخطاب العالمي[١].

(١) «رؤى ثقافية» عبد الكريم بكار.

٤- الوعي التام؛ وهو على ثلاثة مستويات:

أ- الوعي الماقبلي: وهو الوعي بحقيقة وخطورة التحولات على الفرد والمجتمع قبل أن تروج وتظهر آثارها.

ب - استصحاب الوعي أثناء المواجهة والممانعة، فالشر أصله واحد، لكن وسائله وطرقه تختلف وتتنوع، فأباطرة التغريب يدركون ثمرة تنويع أساليبهم في طرح مشاريعهم، فلا يظن المرء أن وقوفه مناضلًا أمام وسيلة واحدة وعلى ثغر محدد سيجعله في مأمن تام من أن يناله العدو بأذى عبر نوافذ مختلفة أو عبر الأبواب الخلفية قد يكون الغزو.

جـ- الوعي المابعدي: بمعالجة آثار ونتائج ذلك الصدام، ففي حال تعرض فرد أو مجموعة للوثة وتحول في قيمه ومبادئه، فيأتي هذا الوعي ليساعد على إيجاد الطريقة المثلى للعلاج تربويًا وفكريًا ونفسيًا.

٥ - تعزيز دور المثقف الإسلامي من قبل العلماء والدعاة:

وهم الطائفة التي لها قبول ورواج واسع في المجتمعات المحافظة، فقد يقرأ المرء بين فينة وأخرى تقليلًا من شأن ودور المثقف الملتزم من قبل بعض الفضلاء بدعوى أنه يصرفه عن العلم الشرعي الجاد ويفقد المرء الرسوخ العلمي، بينما يجد المثقف التغريبي حالة من الترحاب المبالغ فيه وتهافت على نتاجه الثقافي.

٦- إيجاد مرجعية ثقافية إسلامية مؤسسية؛ فالزمن الراهن هو زمن مؤسسي بامتياز، فتتضافر الجهود الجماعية وتتلاقح الأفكار في صياغة مشروع تكاملي ينهض ويقف حصنا منيعا في وجه طوفان التغريب الذي يشوه معالم القيم النبيلة.

٧- يقول خالد حاجي: «دور المسلمين دور مزدوج، فعلاوة على ضرورة صدهم للغرب المباسل الذي لا سبيل إلى التحاور معه، عليهم إيقاظ العالمين بما فيهم الغربيين وتذكيرهم بحاجة الحداثة إلى عبادة، وبحاجة الاقتصاد العالمي إلى (مفهوم الغنى عن الشيء) بدل (مفهوم الغنى بالشيء) و(السياسة إلى أخلاق)»[1]، فهنا تتجلى عالمية الإسلام وبث سناه كبديل حضاري.

٣- الكشف عن حقيقة أن التيار الشهواني والعبثي الذي يتفوق الآن ليس عدوا للمسلم فقط، بل قبل ذلك عدو للإنسان، فهي دعوة لتفكيك وتقويض الإنسان كما يقول المسيري.

٤- تعرية المصطلحات الملتبسة والغامضة والتي قد يطمئن لها بعض الإسلاميين، وذلك عبر وصل العلاقة بين رفع تلك الشعارات الملتبسة وبين المؤامرة السياسية الغربية.

* * *

(١) من مضايق الحداثة، خالد حاجي.

جدول لمنظومة القيم التي تأثرت[1]

القيم	التغير
قيم اعتقادية	صار التعلق بالمال بدل العقيدة
قيم تربوية	صارت التربية تقوم على أن يتقبل الإنسان القيم المحررة
قيم ذاتية	صارت الأنانية بدل التضحية
قيم ثقافية	صارت الثقافة استهلاكية لا فكرية
قيم جمالية	صار المفهوم للجمال نابعًا من الانبهار
قيم أدبية	صار الأدب مكرسًا لمخاطبة الغرائز
قيم فنية	صارت الفنون قائمة على المال والجنس
قيم سياسية	صارت تقوم على النفعية

* * *

(١) العولمة والقيم ، حيدر الدهوي

الخاتمة

فـي ختام هذا البحث الذي عـرف القارئ بأهمية القيم والصراع العالمي حـول الكثير منها، ودور المثقف الإسـلامي في دعم وتعزيز والذب عن القيم الفاضلة، وأبان البحث عن المداخل التقليدية والغير تقليدية للمثقف التغريبي وعن الحيل التي يلجأ لها في نشـر قيمه عبر شعارات زائفة وأبواب خلفية.

مسـؤولية المثقـف الإسـلامي تتضخم يومًـا بعد يوم بعـد تزايد الإقبـال عليـه وبعـد وجـود ثغـرات لن يبـرع غيره فـي سـدها وإفادة المجتمع عبر لغة ثقافية تستند على الحجج والبراهين.

الخطـاب الثقافـي الإسـلامي ينتظـر منـه الكثيـر فـي المراحل القادمـة، وليـس من الملائم أن ينفرد خصمه بالسـاحة دون مدافعة أو منافسة، وليدمغ الحق الباطل وليغالبه دون وهن ولا عجز.

معركـة القيم لـن تتوقف عند هـذا الحد من المداخل والسُّـبل، وسـتبرز مع تصاعـد المواجهـة مداخل جديـدة، وستسـتحدث حيل أخـرى مغايـرة، مما يسـتدعي من المثقف الإسـلامي الفطنة وحسـن التجـاوب ومرونـة الأداء وشـمول التصـور واسـتمرارية العمل وبناء المرجعية والثقة في المواهب الشابة وإبرازها.

ختامًـا. . لا ينبغـي أن تقف معركـة القيم عند قلـم المثقف، بل يجب أن يشارك فيها الجميع.

* * *